القلق اللبناني

☆

يكاد يغرق اليوم هذا الجبل ، لبنان ، في مماحكة من « المباحث القومية » تتفجر في تيار عنيف من المبهم الغامض

وتهدأ العاصفة ، وكأن المراسي ، مراسي المماحكين ، استقرت — على قدر عزمها ومعرفتها — في ان الاسس القومية شيء ، وكيان الدولة شيء آخر ، ثم تنبسط الى ان القومية « مبحث علمي صرف » لا علاقة له بالتنظيم ، او التكتل ، او جهاز الحكم القائم ، او تأمين مستقبل الوطن . . .

وشط التخمين ، حتى ان بعض رجالات الدولة اللبنانية راح لا يرى مشاحة ، في ان يعلن بجرأة ، انه رجل سياسة ، لا رجل قومية ، ولا ولي توجيه !؟ . . .

ونسأل كيف تكون السياسة ، اي تولية امور الدولة ، اي تأديب الوطني ؛ اي تقرير مصيره ، اي تثقيفه ، اي توجيهه ، في يد ولي ، يعلن بجرأة ، انه لا يضلع بالتأديب ، اي بالقيادة ، اي بالتدبير بل قل بالسياسة ؟!

فيتركك السؤال في حيرة الجواب وبلبلة الانتظار . . .

ومن هنا . . . من هذا المنطق العجيب في وعي حقائق الدولة ، غرقت الدولة عندنا ، في بحران من الفوضى والخروج عن جادة القومية .

ذلك ان قائد الزمام ، اي القيم على اوصال الدولة ، لم يشعر بعد ، شعوره الكامل ، في منطقه ، ان القومية هي النبع الوحيد الذي تنبثق منه المياه النقية الى جميع شرايين الجهاز ، وان القلب ، اي ركيزة الانسان المفكر ، هو الذي يدفق الحياة في مسارب العروق . وان السياسة ، هي صفة القومي ، وان السياسي الذي لا يكون قومياً ، اي موجهاً معلماً ، هو السياسي الفاشل ، ابن الظرف والمناسبة والارتجال .

ونحن واثقون انه ، لن تهدأ هذه النفوس اللبنانية المضطربة في حيرة المصير ، الا يوم يؤمن الولي الحاكم ، كل الايمان ، وقبل كل ايمان ، انه قومي ، اي انه ، وهو المعلم ، مثقف الوطني غير المثقف قومياً ، وممهد الطريق الى القمة امام الوطني المهتدي في ضياء قوميته .

ونحن واثقون انه لن يكون للبنان ، دولة لبنانية هادية ، الا يوم تكون له في ضمير الحكام ، قومية ، ويوم تكون هذه القومية ، قومية عربية ، في صفة لبنانية ، ليكون له اولياء لبنانيون ، يسهرون على أمانات الوطني اللبناني .

***

حقاً ان القومية مبحث علمي صرف ، وان السياسة الجادة ، خلق علمي صرف .

فالسياسة من غير قومية ، كالعبادة من غير ايمان . . . من غير محجة . . .

الاديب

الى الخليل

☆

كانت الحكومة اللبنانية قد انتدبت الدكتور نقولا فياض لتمثيلها في مهرجان استاذنا خليل بك مطران . فبدأ بنظم بعض ابيات من قصيدته ثم اعترضه مانع صحي حمله على الاعتذار عن واجب الاشتراك في تكريم صديق، له في قلبه ونفسه، الحب والاخلاص والاكبار، وقد احببنا نشر هذه الابيات كما جاءت :

مِنْ مصر سرتُ على رجاء لقاء … ولمصر عدت على جديد رجاء
فأنا على الجبل الأشم كما انا … في مهبط الوادي، قريبٌ ناء
أضرمتُ نار الحب ملء جوانحي … وعصرتُ خمر الحب ملء انائي
فاذا اشار الأرز من هضباته … أبدى النخيل خياله في الماء

☆☆☆

اخليل ، والتاريخ أبلغ ناطق … ببيانك الضافي على الشعراء
هل كنتَ الا فكرة عربية … شق النبوغ حجابها للرائي
لبنان أطلعها على سفح المنى … من حالمات البحر والصحراء
حفلت بها الأغوار من فلك النهى … وحبا الضياء بها الى الجوزاء
فسرت الى اعماق كل سريرة … وسمت الى آفاق كل سماء

نقولا فياض

ليلة

بقلم شكري فيصل

☆

كنا ثلاثة .. أنا والليل والمصباح .. أما الليل فقد امتد واسعاً عريضاً حتى شمل الدنيا وغطى الأرض، وضرب بجناحيه الصفيقين صفحة الافق التي تعودت ان انظر اليها من خلال نافذتي الخشبية العتيقة .. فعدت احدق في الظلام.

وظل هذا الليل يمتد ويشتد ساعة بعد ساعة .. كانت فلول من الانوار تثبت له في كل بيت .. غير انها ما لبثت بعد ذلك ان هزمت واحدة بعد واحدة فاذا الفضاء الفسيح من حولي في هذه الضاحية من القاهرة تلفه هذه الظلمة البهيمة كما تلف القلوب النقية ظلمات اليأس الحالكة حين تعدو عليها

وادرت الطرف هنا وهناك فلم اجد شيئاً .. لقد خشع كل نور، وصمت كل همس، وهدأ كل حي .. واحست القاهرة هذه المدينة التي كانت تغرق في الضجيج

وتحترق في النور، كتلة من الصمت الرهيب ومن السكون العجيب، ومن الظلام الحلوك.. فليس بينها وبين الحياة الا هذه الاسباب الضعيفة من صوت القطار البعيد يشق طريقه الاخضر الى الصعيد الطيب في حشرجة منهكة ونفس لاهث.. ومن دقات الساعة، ساعة الجامعة، كأنات المريض في جوف الليل، تنبئ عن امله في الحياة ومن شعاعات مبعثرة متباعدة هنا وهناك كانما هي التي تربط القاهرة بالدنيا من حولها باسلاك توشك ان تتقطع

واردت ان انام مع المدينة التي تنام على دسدسة النيل الخالد غير ان همسات اخذت تثور في دنياي من حولي.. فاذا انا وحدي حبيس هذا الليل.. انا وهذا المصباح الذي انف ان يتحطم على يدي الظلام الاسود.

..وجلست ارقب ما حولي فلم اتبين شيئاً.. وحدقت فاذا الظلمة تلطم خدي.. من يدري ما وراء هذه الحجب الكثيفة؟.. اي شيء يستتر وراءها.. كان هنا باسقات من النخل اشهدها، اما الساعة فلا ارى شيئاً.. لكأنها غابت في امواج من هذا الليل المعتكر.. وكان هاهنا ابنية وقصور، وشرفات ومدارج. انها الآن قطعة من هذا الليل الذي ينكسر على حفافي هذا المصباح الضئيل.. لقد اشتد الليل حتى لكأنه زنجي جبار احتبس الارض بين قبضتين فلم تفلت منها الا هذه الذرة الضئيلة التي اعيش فيها

***

واما المصباح فقد هزأ بهذا الجبار. وجده يبطش فتأبى عليه.. وشهده يتجهم فضحك منه.. واحس منه الغدر فلم يجبه امامه.. لقد وقف وحده امام امواج الليل الرهيبة يدفع طغيانها بالعزم، وجبروتها بالجلد، ورهبوتها بالكفاح، وظلماتها بالنور حتى استطاع ان يحيا.. لكأنه روح العربي التي عاشت في قرون من الظلمات والظلم تجالد دون الحياة، وتصابر دون الموت، وتطاول الزمن حتى تغلب الزمن في وثبتها الجديدة الكبرى.

..وعلى ضوء هذا المصباح سمرت. كان الليل رقعة واسعة لصفحة البحر وكان هذا المصباح منارته الهادية.. وكان الليل صفحة واحدة سوداء وكان هذا المصباح جناحها الابيض الندي.. كان الليل نغمة رهيبة صامتة، وكان رفيف المصباح حديثها العذب الطري

***

وجلست اكتب اليها.. الى ذاتي.. على ضوئين من قلبي ومصباحي ومدادين من قلبي ودمي.. وروحين روح تعيش معها هنا وروح تعيش معي هناك.. ولكن سرعان ما ابت الى نفسي.. اني استمع من بعيد فاحس كأن هذا الليل يحمل صوتها الي.. فلاستمع الى صوتها في دمدمة امواجه المتحطمة عند نافذتي

واخذت اصغي.. لم اكن مخطئاً اذ استيقظت على هذا النداء الغامض.. وانه يحمل غنة صوتها العذب لينشر في هذه العزلة التي اجوزها نسمات الحياة

***

كنت انا والليل والمصباح.. انا الساعة.. فانا وهذا الصوت. لقد غابت عن عيني كل صورة، وفني كل موجود.. لم تعد امامي كائنات ولا اشباح لكائنات.. لقد ارتفعت بنفسي الى عالم آخر.. اني اعيش على حفافي هذه الدنيا كما تعيش ام متبتلة على شاطيء البحر ترقب ابنها.. اني ارقب هذا الصوت العنيف في حنان الواله، ولوعة المحب، وتطلع الآمل.

وانسقت في هذا الاستغراق الملذ، واخذت أتبين من بعيد، على جنح الليل البهيم، هذا الشراع الابيض الذي أخذ يتراءى لي.. انه ليتموج وان موجاته لتتسق مع هذا الصوت الضامر الذي ينسكب في قلبي.. انه صوت حبيب عندي اثير لدي.. فتى يصمت هذا الهدير البعيد حتى املأ نفسي منه؟!.. متى تهدأ هذه الامواج الموسوسة حتى ارتوي منه.. متى يقترب مني حتى افني كذلك فيه.

***

لن تضيرني الدنيا بكل ضجاتها حين اعيش في واحتك الظليلة

ايها الصوت الندي.. لقد خلقت انا لك من حولي جنات نعمت بها حيناً من الدهر وفي هذه الجنات وجدت نفسي.. واني لاعيش اليوم في ذكريات عذاب منها.. فتى تعود الذكرى حقيقة واقعة من جديد

. الشراع المتهادي يقبل من بعيد في مثل لون الحمام الابيض ووداعته.. ان عيني لن تكذباني.. والصوت العذب ينساب في هدأة الليل، في مثل سحر الوحي وحلاوته.. ان اذني لن تخدعاني.. اني اعيش في الجنة، في حلم مديد.. اني ارى الشراع، واسمع الصوت.. انا والليل.. انهذا المصباح يوشك ان يردني عن الشاطيء المتشقق عن الخيال الحبيب الى غرفتي العارية.. لا.. لا يا صديقي الذي دفع عني غائلة الليل.. تعال فاحفظ علي هذه الحقيقة.. هذا الحلم.. تعال نرقد انا وانت تعال اطفئك لحظات حتى اظل في حلمي المديد..

القاهرة — شكري فيصل

حديقة الاحلام

مع اوسكار وايلد وشبح كانترفيل

للآنسة سمية حموي

☆

إدفعي . . .

ودفعت الباب الخشبي الضخم ،

وتقدمنا في تربص الخطوات نجتاز العتبة القديمة ، ثم اندفعنا الى ما وراءها في تمهل عميق ، يحدو قدمينا الصمت ، ويحد في بصرنا المغيب ونغرق في جبة الاشباح كأننا شراع بعيد يتوارى في هدير اللجة .

***

— هنا . . .

والتفت الى حيث اشارت فاذا بي امام صخرة من المرمر المالس .

وجلسنا كأننا عائدتان من الطواف في كهوف الأساطير العتيقة ، او كأننا نمشي دون ما قيلولة ، منذ بدء الزمن .

قالت لي : لمن هذه الشاهدة ؟؟

قلت : اية شاهدة ؟؟

وتأملت في كل صوب فلم اجد غير هذه الصخرة الرخامية التي نجلس عليها .

ونهضنا عنها بخوف ، ولكننا لم نكد نخطو خطوة حتى سمعنا حفيفاً غامضاً ثم رأينا قطعة الرخام تتحرك ، ثم ازداد في الحركة ، ثم ترتفع رويداً رويداً ، ثم تنتصب كأنها انسان متحجر .

واجتاحتنا برودة . . . يا لها من برودة .

وتسمرنا في الهواء والتراب ،

وصرخت؟ من الالم والجراح ، رفيقتي وتطلعت في عينها فلم ار لها عيناً ، ومددت يدي فلم احس لها ساعداً ، وضممتها الى صدري من الخوف والوحشة فاذا بين يدي هيكل من العظام عجيب .

. . . من أنت ؟؟ من أنت ؟؟

ودفعته بيدي وصدري . . . ثم سمعت قعقعة العظام وانيناً ثقيلاً . ثم رأيت يداً عجيبة تشد برفيقتي في حفرة الشاهدة ، ثم رأيت الشاهدة تقع وسمعت من خلال التراب صوتاً ينادي على غصة الموت باسمي ، بشيء من اسمي ، وخطوت من الرعب فاذا بالليل يخطو معي . ووقفت من الرعب فاذا بالشاهدة تقف بجانبي . ودفعتها على الارض الجائعة ، بهذه القبضة ، بقبضة يدي . وناديت ملء صوتي ، فلم يخرج من مخابيء حنجرتي صوت . ومددت عيني ملء بصري ، فلم يخرج من اجفان عيني نظر .

ربي ربي أين نحن ؟؟ أين أنا ؟ أين أنت ؟

أين ، هذه ، المرأة التي كانت الآن معي ؟

ربي . . . من حرك هذا التراب . من خلع هذه الصخرة الجامدة ؟؟ .

وتكدس بعضي على بعض . وخطوت خطوة ثانية ، ووقعت من العياء .

***

وتطلعت حوالي فاذا بي أرى قدم النهار تدخل من باب الحديقة واذا بي اسمع شجرة الآس تقول للشاهدة :

« ما أطيب هذا الغذاء الطري الجديد ! »

وتقدم النهار وأخذ بيدي المرتجفة ، وسرنا وعينه عيني على بياض الشاهدة .

ولما خرجنا من الباب ، حفرت بأنامل النهار الغليظة على صخرة الجدار هذه العبارة :

« دخلت بجرأة مع الليل والاحلام الى حديقة الاشباح »

وخرجت بخوف مع النهار واليقظة الى حيث لا أدري . . .

اما التراب الجائع فلم يزل خارج الحديقة ملتصقاً بقدمي

أما رفيقتي فقد نامت في التراب تحت الشاهدة ، كما نام اوسكار وايلد من قبل وشبح كانترفيل في حديقة الموت الى الابد . . .

***

وفي مفرق الطريق النائية عند نبع الماء ، دفعت وجه النهار بيدي وقلت :

« خلني عطشى . . . ان من يشبع في الزمن كمن يموت . . »

فجرى النهار وحده امامي يتعثر في حصى الماء ، وصخرة اليقظة ، واذيال الخيبة .

***

وعدت وانا اردد مع اوسكار وايلد :

« يا لك من شبح مسكين . . الا تجدين مكاناً تنامين فيه ؟؟ »

وسمعت من وراء الجدار تمتمة تقول :

« هنا ، في حديقة الأحلام ترقد الأجنحة . . . »

وجوه الاسلام

بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوي
مدرس الفلسفة بجامعة فؤاد الاول

في مثل هذا الموضع منذ عام او يزيد قدمنا كتاباً ممتازاً عن « تراث العرب » ضم بين دفتيه لطائفة من اعلام الباحثين مستشرقين وعرباً ، ابحاثاً تجمع بين الطرافة والعمق وتدور حول الحضارة العربية الاسلامية في مختلف مظاهرها . وها نحن اولاء اليوم بسبيل التحدث عن ضريب له بعنوان « وجوه الاسلام[1] » للسيد حيدر بمات والشبه بين كليهما ظاهر في الموضوع ثم في كون الذي اشرف على اخراجهما شرقياً لا اوروبياً ، والاول كتب بالانجليزية وظهر في امريكا (برنستون) والثاني بالفرنسية وظهر في سويسرة (لوزان) . بيد أن ثمت فارقاً واضحاً بينهما مع ذلك ، فارقاً يرجع الى التأليف : فكتاب « تراث العرب » قد توفر على كتابته قدر من العلماء المختصين المختلفي المنازع والثقافات ، وهذا خلا من الوحدة الباطنة فكاد كل بحث فيه يستقل بنفسه ، والرابطة لا تعدو اتحاد الموضوع العام ، والمستوى غير مستو نظراً الى مكانة الكاتبين . اما كتابنا هذا فقد كتبه كله حيدر بمات لم يشاركه فيه احد ، على الرغم من تشعب الموضوعات المطروقة ، اللهم الا ابنه الذي كتب الفصل الخاص بالفن الاسلامي . ولعل هذا الفارق ان يفسر فارقاً آخر هو اللهجة التي بها كتب كلاهما . فان « تراث العرب » لا تسيطر عليه كما قلنا روح واحدة ، اما « وجوه الاسلام » فصاحبه يدافع عن نظرية عزيزة لديه ، ويبذل لهذا كثيراً من الحماسة التي تندفع احياناً حتى تحور به عن سبيل البحث الموضوعي النزيه كل النزاهة . وتلك في هذا الكتاب ميزة وآفة معاً . هذا الى انه قصد به خصوصاً الى جمهور المثقفين الاوربيين كيما يقدم اليهم صورة اجمالية عن الاسلام ديناً وحضارة ، وبخاصة في صلته بالغرب ، لان المؤلف يريد ان ينتهي الى بيان الفائدة التي يستطيع الشرق ان يقدمها الى الغرب في دفاعهما المشترك « في الميدان الاعلى للفكر والاخلاق » « ضد الظلمات التي تنشرها المادية المناضلة في هذا العالم ، فان لهذين العالمين (الشرق والغرب) لتراثاً روحياً مشتركاً عليهما ان يحمياه » (ص ٥٧٦) .

والسيد حيدر بمات ، مؤلف الكتاب ، من كبار المجاهدين السياسيين المسلمين . ولد في داغستان سنة ١٨٨٠ وتلقى دراساته الثانوية والجامعية في روسيا حتى اصبح دكتوراً في القانون ، ومن ثم ألحق ببلاط نائب الملك في القوقاز ، الى ان قامت الثورة الروسية المعروفة سنة ١٩١٧ ، فاشترك فيها ، وصار رئيس اللجنة الاسلامية في تفليس ، ورئيساً للجمعية الوطنية في داغستان وعضواً في اللجنة المركزية لاتحاد شعوب داغستان وشركسيا ، ووقع اعلان استقلال جمهورية القوقاز الشمالي (شركسيا وداغستان) ، واصبح وزير الخارجية لتلك الجمهورية الى وقت احتلال الجيش الروسي الابيض لها . وفي تلك الاثناء كان قد ارسل الى باريس لما انعقد فيها مؤتمر الصلح سنة ١٩١٨ مطالباً على رأس وفد من بلاده بالاعتراف من جانب الحلفاء باستقلال تلك الجمهورية . بيد انه عاد لما ان وجد الجيش الابيض قد احتل بلاده ، فاشترك في النضال الذي قامت به القوى الوطنية مع القوى السوفييتية ضد الجيش الابيض ، الى ان هزم هذا الاخير وارتحل الى القرم ، هنالك اختير السيد حيدر رئيساً لحكومة جمهورية القوقاز الشمالي . غير انه لم يمارس هذا المنصب لان الجيوش السوفييتية سرعان ما احتلت بدورها تلك الجمهورية واستولت عليها من اهلها ، فاضطرت الحكومة الوطنية ، وهو على رأسها ، الى الالتجاء الى تفليس في مقاطعة جورجيا في محاولة يائسة لاستئناف النضال ، لكن السوفييت هاجموا جورجيا في سنة ١٩٢١ ، فقامت حكومة مؤقتة في تفليس من اجل اذربيجان والقوقاز الشمالي ، وهما الجمهوريتان الاسلاميتان في القوقاز ، واختير السيد حيدر رئيساً لها . وقام

(1) Les Visages de l'Islam , Lausanne , 1946

النضال العنيف بين الجيش الاحمر وبين التشكيلات العسكرية التي كونتها تلك الحكومة يؤازرها جيش جورجيا ، وانتهى بانتصار الجيش الاحمر واستسلام جورجيا ، مما اضطر الحكومة المؤقتة الى الالتجاء الى تركيا مع فلول قواها . ومن ثم سافر هو الى باريس حيث كونت الحكومات الوطنية السابقة في الجمهوريات القوقازية الاربع (آذربيجان وأرمينيا والقوقاز الشمالي وجورجيا) هيئة مشتركة لتنسيق جهود الدعاية والاعمال السرية من اجل استعادة استقلال القوقاز . فبقي السيد بمات في باريس من سنة ١٩٢١ الى سنة ١٩٣٨ . وكما يحدث دائماً في كل المنظمات التي تفرغ من العمل الأيجابي ، انقسمت هذه الهيئة على نفسها الى قسمين متعادين يضم كل منهما ممثلين من الجمهوريات الاربع : قسم يقوم عليه المركسيون الجيورجيون وكانوا يعتمدون على الدولة الثانية ويتصورون القوقاز على انه طليعة الحضارة الغربية المسيحية ضد الزحف الاسلامي والاسيوي ، ولهذا كان اتجاهها مضاداً للاسلام . والقسم الآخر ، وهو الذي ترأسه السيد حيدر ، كان يدعو الى التقارب مع تركيا والبلاد العربية وايران وافغانستان ، « هذا العالم الاسلامي الفسيح الذي يرتبط به القوقاز اوثق ارتباط بفضل مركزه الجغرافي وتقاليده التاريخية وحضارته ودين أغلب سكانه » كما قال هو في رسالته اليّ عن حياته ونشاطه . ولما قامت الحرب العالمية الثانية كان في سويسرة ولا يزال فيها الى اليوم منكباً على الدراسات التاريخية .

وفي هذه الصورة الشائقة للمؤلف تبين الروح التي املت هذا الكتاب : روح نبيلة مناضلة متحمسة ، تؤمن بالرسالة الحضارية للاسلام في هذا العصر ، وبالوثبة الكبرى المنتظرة لبلاد الشرق الأدنى والأوسط . ويواكب هذا كله ثقافة ممتازة جدية حقاً . فقارىء كتابه هذا يشعر بأن صاحبه على حظ موفور من الثقافة العربية والاوربية ، الى حد ينسينا معه نشاطه السياسي الضخم الذي رسمنا هنا خطوطه الاجمالية ، ومن هنا يستطيع القارىء الاوربي المثقف ان يطمئن بل وان يعجب بما يكتب ، لأنه خلا من ذلك التنفج البغيض الذي يصدر غالباً عن ضيق الافق وقلة المحصول الثقافي ، كما هو مشاهد عند اغلب الذين يحاولون القيام بنفس المهمة التي اخذها السيد حيدر على عاتقه في هذا الكتاب . ولهذا لم يكن عجباً ان نرى مسيو اميل هنريو ، عضو الأكاديمية الفرنسية يكتب معجباً اعجاباً شديداً بهذا الكتاب [2] مبرزاً اهمية الكتاب

(٢) راجع جريدة Le Monde في سبتمبر سنة ١٩٤٦

وقيمته الحاضرة ، مشاركاً صاحبه في اعجابه بمناقب الاسلام والاشادة بالحضارة الاسلامية في مختلف مرافقها الروحية ، غير آخذ عليه الا افراطه احياناً في الحماسة مما يحمله احياناً على ان « يشد الغطاء شيئاً ما الى نفسه ، كما هي آفة كل صاحب ايمان ، وعادة الشرقي ذي الخيال الجبار والتوكيدات المبالغ فيها » . ويشير خصوصاً الى دفاعه عن الغزاة العرب في البلاد التي دخلوها وبخاصة اسبانيا ، ويرى ان ما ينتج عن هذا الفتح من اشياء جميلة تتصل بالفلسفة واللغة والعلم لا تبرر مطلقاً ما عانته اسبانيا طوال الفتح العربي من حروب وثورات وحملات تأديبية ، ويتساءل اخيراً ما اذا كان ثمت غزو يمكن تبريره على اي حال ، ويربط هذه المسألة بمسألة الاحتلال الاجنبي اليوم في العالم . وكنا نأمل منه ان يستخرج من هذا الموقف النتيجة الطبيعية بالنسبة الى بلاده هو وما تحتله من بلاد عربية لا يمكن تبرير احتلالها بأي امر من امور الثقافة او الاقتصاد او التموين ، مهما يكن جميلاً !

ونعود الى الكتاب فنقول انه يكاد يقدم اكمل صورة شاملة باللغة الفرنسية للحضارة الاسلامية منذ ابتدائها حتى العصر الحاضر في مختلف مظاهرها . فهو يبدأ بالقاء نظرة عاجلة على العالم الاسلامي معنياً خصوصاً بابراز الملامح الرئيسية لوحدته ، على الرغم مما قد يبدو من اختلاف في الاقطار والعناصر المكونة له ، وما قد يكون للحضارة الاوربية من تأثير مفض الى التحرر من المظاهر الخارجية للاسلام ، متحدثاً عن « نموذج انساني اسلامي » نستطيع ان نجده في كل البلاد الاسلامية على تفاوت مع هذا في المشاركة فيه بكل تفصيلاته ، ولكنه على الرغم من كل شيء واضح القسمات ثابت على حاله بغض النظر عن كل تطورات عرضية . ثم يعرج بعد هذا على العقيدة الاسلامية ، فيرسم لها خطوطاً اجمالية تتناول امهات العقائد ، محاولاً الرد على الطعنات التي وجهت اليها خصوصاً من جانب الاوربيين . وهي ردود يتابعها كذلك في الفصل الثالث الذي يتحدث فيه عن « انتشار الاسلام » ، حريصاً على ايراد الاقوال والافعال التي تدل على نبالة الغزاة العرب وكرمهم في معاملة الشعوب التي قهروها حتى انها دخلت في هذا العالم الحضاري الاسلامي طواعية . ثم يشير في فصل تال الى الروابط بين الشرق الاسلامي وبين الغرب المسيحي ، مشيداً بما كان هنالك من حسن صلات الى ما قبل الحروب الصليبية ، ناعياً على هذه الاخيرة انها كانت السبب في افساد ما بينهما حتى اليوم .

ثم يأخذ في تتبع تطور الحضارة الاسلامية مهتماً خصوصاً

بالحضارة في بغداد وفي الاندلس، حيثما بلغت اوجها في العزة والترف وفي هذا يعرض امامنا صوراً حية لما كانت تسبح فيه من ابهة ومجد

ولعل ابرز فصول الكتاب تلك التي تحدث فيها عما قدمته الحضارة الاسلامية للعلوم وما كان لها من اثر خصوصاً في الغرب فيتناول الفلك والرياضيات والفيزياء والكيمياء والعلوم الطبيعية والطب والجغرافيا والتاريخ والعلوم السياسية والفقه ثم يكرس الفصل التالي لما قدمته في الفلسفة فيعطي صورة موجزة عن تطور علم الكلام، ثم يتناول الشخصيات الفلسفية البارزة في الاسلام، ابن سينا وابن رشد والامام الغزالي، ويعرض مذاهبهم عرضاً سريعاً، موجهاً جل عنايته الى بيان تأثيرهم في العالم الغربي في العصر الوسيط، فيحدثنا عن تأثير ابن سينا في البرتس الكبير، وابن رشد في القديس توما الاكويني على الرغم من مهاجمته الشديدة له ويحاول خصوصاً ان يدافع عن «سنية» ابن رشد، مبيناً عدم تنافي ما يذهب اليه في فكرة العناية وخلود النفس ووحدة العقل الفعال وقدم العالم ومراتب المعرفة الفلسفية والايمانية وعلم الله بالجزئيات—نقول: عدم تنافيها وعقائد الاسلام الصحيح. وهنا يمكن المرء ان يتساءل ما اذا كان المؤلف في هذه المسائل يغتصب الدفاع اغتصاباً في بعض الاحيان، ولكنه على كل حال يعمل جهده في اقناع القارىء برأيه مستنداً الى حجج عقلية ونصوص، مما يحمد عليه، وان كنا نحن نفضل الا يضطر المؤلف الى الدفاع في كل موضع، والا ادى هذا الى تهمة قد تضر بالقضية التي يدافع عنها اكثر مما تفيدها.

ومن الفصول الجيدة حقاً ومن غير شك في هذا الكتاب الفصل الذي كتبه ابن المؤلف، نور الدين، عن الفن الاسلامي فبعد فصل تناول ما قدمته الحضارة الاسلامية للآداب (الشعر العربي والشعر الفارسي والادب التركي، وللكتاب الفضل في جمعها كلها معاً كما هو واجب في كل بحث في هذا الباب، ان لم نضف اليها كذلك استهلالاً تقويمياً خاصاً بالشعر السامي السابق على الشعر العربي)، يأتي هذا الفصل فيبدأ ببيان الخصائص العامة للفن الاسلامي، ويلخصها في قابلية التمثل، وقوة الانتشار، والطابع الروحاني، المجرد، التزييني. فيؤكد وجود طراز اسلامي فني على الرغم من كل التأثرات التي عاناها من جانب الفنون السابقة: الآشورية والبيزنطية والقبطية والفارسية الساسانية والهندية والمنغولية والصينية، ويرد قوة التمثل في الفن الاسلامي لهذه الفنون الأجنبية الى اشتراكها في الطابع الشرقي مما جعلها مشتبكة الارحام فمن السهل انتقال التأثير من الواحد الى الآخر، ويرجع الطابع الروحاني المجرد الى التأثير الديني، كما يرجع التزيين الى ميل الشعوب الشرقية الى الترف. وعلى الرغم من اننا لا نشارك المؤلف هذه التفسيرات (راجع استهلال كتابنا «التراث اليوناني»)، فان تأويلاته لا تخلو من براعة. ويتطرق من هذا الى الفكرة الشائعة الزائفة التي تزعم – خطأ من غير شك – ان السبب في كون الفن الاسلامي فناً موغلاً في التجريد، بعيداً عن التجسيم هو النهي المدعى عن تصوير الاشخاص الحية. فيؤكد انه لا يوجد في القرآن ما يدل على هذا النهي الصريح لتصوير الكائنات الحية رسماً او كتاباً وفكرة النهي انما قامت على احاديث نادرة جداً لا تتفق—بعيداً عن التكلف—مع القرآن، لا في نصه، بل ولا في روحه «وانما الطابع المجرد للفن الاسلامي يمكن ان يفسر بطريقة ايسر على اساس بعض خصائص الروح العربية، تلك الروح المولعة بالافكار المجردة، القليلة الاحتفال بالمظاهر الخارجية للحياة. ان العربي هائم بالمطلق، ولهذا فهو في المقام الاول رجل متدين. وعاطفته الدينية والاخلاقية تسود تصوراته الجمالية. والرسالة التي يكلها الى الفن هي ان يكون ترجماناً لحياة الروح، لانها الشيء الوحيد الذي يعنيه. لكن الفن لا يمكن ان ينفذ الى صميم الحركات المستورة للروح، وان يدرك الفكر المجرد الخالص من كل عائق بدني، الا اذا ارتفع الى ما وراء عالم الصور الحية. وهذا الاتجاه الروحي، المميز كل التمييز للشعوب السامية، ليس خاصاً بها وحدها، بل هو كذلك اتجاه كثير من المثاليين المتدينين من بيوريتان (متطهرين) ومحطمي صور (ايقونوكلات) في كل الازمان والبلدان ويكفي ان نذكر الخصومات التي نشأت حول الصور في بيزنطة، وموقف آباء الكنيسة المسيحية او موقف بعض الفرق البروتستنتية من الفن (ص ٤٣٩). وهذا كلام سديد نرافق المؤلف عليه مهنئين. وبعد هذا نراه يستعرض الصور الرئيسية للفن العربي: الرسم الاربسك، والمعمار بحسبانه خير تعبير عن الفن الاسلامي، فيتناوله في شيء من التفصيل كما قام في مصر وسوريا وشمال افريقيه واسبانيا وايران وآسيا الوسطى وتركيا والهند، وتعجبنا خصوصاً تلك الصفحات التي كرسها للفن الايراني والمغولي (ص ٤٥٥ وما يليها) فقد اوفت على الغاية في دقة التحليل وحسن الفهم الباطن للفن الاسلامي في تلك الاصقاع. ثم يأتي بعد هذا على بقية الفنون الاسلامية: الزخرفية والصناعية، وكذلك فن المصغرات miniatures فبين قيمه الحقيقية، وهي قيمة ضئيلة كل الضآلة، على عكس ما يذهب اليه فرائس الحماسة الهوجاء الذين يريدون ان يجدوا فيه نوعاً من التعويض عن رسم الاشكال الحية، وشتان ما هما!

ويختم هذا الفصل الممتع العميق معاً ببيان تأثير الفن الاسلامي في الغرب،خصوصاً في فرنسا في كنائس اوفرن وفله Velay وليموزان Limousin ، كما بين في الفصل السابق تأثير الشعر الغنائي الاندلسي في اشعار التروبادور واعتدال الحكم ونزاهة التقدير يظهران جلياً في هذا القسم الاخير .

اما والمؤلف يريد ان يقدم صورة كاملة للحضارة الاسلامية فقد عرض في الفصل التالي (الثالث عشر) الى اسباب انحلال الحضارة الاسلامية ، فاعلن اسفه لكون هذا الموضوع لم يظفر بحقه من البحث حتى الآن برغم اهميته الكبرى . وبدأ هو بأن رد على الذين يردون هذا الانحلال الى سببين : عدم اتفاق الاسلام مع تقدم العلم ثم تأثير الاتراك والبربر . ورأى ان الاسباب الحقيقية هي : انتصار الروح التوكيدية المتزمتة على روح البحث الحر، مما كان نتيجة لانتصار الاستبداد المطلق السياسي على المبادىء الحرة الديموقراطية في الاسلام ، ثم وهن الروابط بين القوة المركزية والشعوب، ثم عدم قيام طبقة وسطى قوية ، وتحول طرق التجارة الدولية ، وتركيز النظام المصرفي في ايدي اليهود والنصارى ، وعدم كفاية استغلال الاعمال ، فضلاً عن اسباب ثانوية اخرى . وفي هذا يكشف المؤلف عن ملكة فهم تاريخي خليقة بالتقدير ، وما يؤخذ عليه هنا هو عدم تنبهه الى الاسباب الحضارية العامة المستمدة من منطق التطور في فلسفة الحضارات .

ثم يستعرض بعد هذا تاريخ الدول التي انبثقت من الامبراطورية الاسلامية بعد انحلالها . فيعنى خصوصاً ببلاد ايران ولا سيما في ايام الصفويين ، ثم ببلاد الترك حتى نهاية الدولة العثمانية .

ويختم الكتاب بفصل شامل لحركات التجديد في العالم الاسلامي في القرن الماضي وهذا القرن : الوهابية والسنوسية ، وجمال الدين الافغاني ، ومحمد عبده ورشيد رضا ، ويبين التجديد المصري والتجديد الهندي في الاسلام ، متحدثاً عن سيد أحمد خان وسيد امير علي ومحمد اقبال والاخوين شوكت ومحمد علي . وبه تكمل هذه الصورة العامة للحضارة الاسلامية منذ ابتدائها حتى اليوم .

والكتاب يخدم الغرض الذي انشيء من أجله تمام الخدمة . فليس يطلب منه الطرافة والعمق بقدر ما يطلب منه الوضوح والنزاهة وسعة الافق ، وهو موفور الحظ فعلاً من هذه الصفات الثلاث الاخيرة ، ولا يخلو في الوقت نفسه من شيء من الصفتين الاولين ، كما اشرنا فيما عرضناه ، وهو الى جانب هذا يعد أشمل صورة للاسلام : ديناً وحضارة ، نعرفها في اللغات الغربية ، بله في العربية كذلك . والامور التي يمكن ان تؤخذ عليه حقاً اهمها افراطه في الدفاع احياناً عن مراكز ميؤوس منها، ولا فائدة احياناً اخرى في بذل جهد في الدفاع عنها ، مما قد يدعو الى نفرة بعض القراء من الاوربيين - وهم الذين يوجه اليهم خصوصاً هذا الكتاب ، ثم بعض الهنات التاريخية في التواريخ (مثل ان الغزالي توفي سنة ١١٢٢ م ، وصحتها سنة ١١١١ م) وفي اسماء الكتب والاشخاص والبلدان « وهذا قد وقع في مواضع عديدة» ، ثم يبدو كذلك ان اطلاع المؤلف على المصادر الاسلامية نفسها اقل بكثير جداً من اطلاعه على المصادر الاوربية عن الاسلام، وقد كان الاخلق به ان يرجع الى تلك المصادر الاسلامية الاصيلة، وانه كان اخلق بأن يجد فيها حججاً اقوى لتأييد ما يذهب اليه .

ومهما يكن من شيء، فان مؤلف الكتاب ، السيد حيدر بمات ، جدير بأن يزجي اليه التقدير من جانب العلماء ، والاعتراف الشامل بالجميل من جانب المسلمين والعرب في كل مكان .

القاهرة　　عبد الرحمن بدوي

اختي

☆

النشيدة الاولى

☆

لالياس خليل زخريا

●

عفوك اختي . . .!
يا مطارف التأمل في مطالع الجباه
يا خلية الضمير في قفير الحيوة الصاخب
يا مظلّة الخيال في ليلة الجرح الساهر ، الحائر .

***

يا فكرةً كامنةً ، قبل عهد الفكر بغامض الكلمة
يا محطة العين في دنيا هي منافذ عيون
يا قبة شرفة
في جبلنا ، العالي ، المشرف على بيت ربنا العالي

***

اختي
. . . ووجهك المطمئن المشرق
وجفنك المطرق المغدق
ان ليلنا لعابر
ان فجرنا ، ان غدنا ، لساهر ، سامر ،
في مسيّح الخواطر
في خميرة الضمائر
في رفارف الجناح   في مفارق الصباح
في كل حدوة
في كل شدوة
في السفح ، في الواد
في كل ربوة تمدُّ بربوة

***

اختي
اعطني طرف انملة ، ادفع بطرف الانملة ،
نهامة الاظافر ، قساوة الدنيا ، قساوة الحوافر ،
والمقادير
والدوائر العواثر

***

اختي
. . . والمطر حول بيتنا منهمر انهماراً . . .
● قالت حبة ماء لاختها :
«واغيرتاه»!! انظري يابلهاء كيف هو عناق الاخوة .
بئس هذا البلور البارد القاسي . . .
مالان صدره ليانا

وما حنا خده حنواً
كلما قبلناه زادنا صقيعاً

***

وشدت العاصفة ، وتصدّعت خيوط السماء ،
وتسربت الى الغرفة ، من سقف الغرفة ، قطرات
نهمة كأنها تسائل الخدّين المتعانقين :
كيف هو الدفء في الشتاء القارس
في بحيرة الحياة المثلجة ،
... واحمر خدك حياء ...
لتتفتح النوافذ الموصدة ...
ليدخل المـاء الثائر ...
لتتساقط حبات الثلوج ...
لتحدُ بنـا مجاذيف العروق التائهة ...
لتتميس بنا هاتيك الزرقـة المتماسكة
... لترنا عين الناس ...
... عينه ... عين الله ، كله ...

***

لن يرتفع خدك عن خدي

اختي

نحن كالمطر حكاية رفد
نحن كالريح نداءات بعد
نحن كالعروق نبضات وجد
نحن كالصلاة بخور وند
ودعاء وحمد
وعهد على غير وعد
ووعد على غير عهد
وكدس ورد عـلى ورد

***

نحن في ، عينه ، من عينه انثلال
نحن في صوته ، من صوته ابتهال
نحن واحة ، توكأت على ضفافها جوانح الطيوف الغريبة
نحن جنة ، ان كان له ، لربنا ، في مباسط الدنيا بعدُ جنة .

اختي

لن يرتفع خدك عن خدي
انت هدى كلما ارتفع وجهك تكسرت حواجب الشموس
انت مستودع الفصول كلما اطلّ خدك
غصت حناجر الربيع ، الانيق ، المتجهم

***

من حبك جدائلك الشقراء عناقيد عناقيد
من صب انفك قمة شامخة في مطالعها مخابىء الضياء
من سفح في مآقي عينيك زرقة ذيّاك البحر على تيك السماء
من مرع هاتين الشفتين باواني الهياكل المقدسة
بافواهها الحرار ، المعتقة ،
في اقبية جبالنا الحرار

***

اي ازميل ابتدع هذه الجبهة القادرة؟!
اي ازميل سكب هذه الاصابع المصغية ?!
اي ازميل نحتك من جبيني
من بياض عيني
من رخام وجهي الحالم

***

اختي

لم يكن للناصري اخت ولكن كانت له ، مجدلية ،
تنشف بافواف شعرها ،
عرق التحنث

اختي

لم يكن للقرشي اخت ولكن كانت له ، خديجة ، تمسح
عن هلال وجهه غبار الهلال الخصيب

اختي

كانت لموسى اخت ، كانت له عصا سحرية ، يضرب بها
المد والجزر ، يضرب قمة سيناء يفتش في الوحشة
عن الغمامة المقدسة
عن راحة الله عن وجه اخته

***

عفوك اختي
اخاف ان يرتفع خدك عن خدي فتسقط الى الابد
في نفسي ، اعمدة الهياكل ، وقباب الجوزاء
... تقوى اضمها بشفتي ضماً ...
... ابتهال اهمسه في اذن الجنة ...

الياس خليل زخريا

انتظرني

قلت : « انا ذاهب »   قالت : « الا تعود !!»

وتدحرجت بقية السوءال على الوجنتين

☆

انتظرني فلن يطول غيـابي   لن يطيل الزمـان عهد اغترابي
انتظرني !! غداً اعود مع الفجر ، ولكن – محطم الاعصـاب
انتظرني ! ! ففي انتظارك سلوى   عن بعادي ، وشقوتي ، وعذابي
انتظرني ! ! فان صوتـك باقٍ   « يا حبيبي تعال عطر شبـابي »
انتظرني ! ! فرب ثورة قـلبٍ   فتته كحفنـة من تراب
انا لولاك مـا هجرت المجـالي   والمغـاني ، ورفقتي ، وصحابي
انا لولاك مـا ذرفت دموعي   في الليالي – ولا هجرت دعابي

***

انتظرني ! ! غداً سأفرغ كأسي   والثمالات – من فم الاكواب
ربما عادَ بي الحنـين ، فاهوي   والاماني ، على اخضرار الروابي
اذكر الامس – ليله كان دنيا   من شفاهٍ ، وعربدات عـذاب
نفرغ الكأس ، لا نبالي احب ؟   كان فيها ام جرعة من شراب
غلأ الروض اغنيـات سكارى   هائمـات عـلى سفوح الهضاب

***

يا حبيبي !! اذا انتظرت فاني   سوف آتي – مجنحاً بالرغـاب
سوف اتيك مفعمـاً بالامـاني   احمل الحب، والرؤى ، والتصابي

***

انتظرني ! ! غداً اعود – اتبقى   امنياتي – كعالم من سراب ؟
ام تراني اعود احمـل جرحي   في دروب مليئة بالضبـاب
انتظرني !! فقد حملت صليبي   في بعادي ، وقد شربت عذابي

صافيتا – سوريا   محمود عبسي

بين العدالة والرحمة

بقلم فوزي غازي

المفكرون والفلاسفة في قديم وحديث معنيون مختلفون في تعريف الانسان وتحديد مميزاته وخصائصه الفارقة وما زالوا حيث هم من العناية والخلاف. فمن ذاهب الى تمييز الانسان عن سائر المخلوقات بالعقل ومعطياته الى مؤمن بتحديده بالنطق او السياسة او الاجتماع كما فعل المعلم الاول ارسطو، ولم يدر لعمري في خاطر احد من هؤلاء ان يسبر غور الكائن «الانسان» ابعد مما فعلوا. هو يطأ ارضا وعرة المسالك كثيرة المزالق غير انها تفي باهداء طابع الانسان الفارق على هذه الارض يجتمع الانسان بنفسه ويتعرف الى حقيقته حتى اذا ادرك تفوقه وجبروته ووقف على فوارقه مع غيره من المخلوقات اخذ يشد نشاطه لبناء عوالمه الخاصة واشادة انظمته وقوانينه. ان هذه الارض ارض مقابلة الانسان لذاته الحق، وعلة سيادته على المخلوقات هي روح العدالة المستكنة في اعماقه

ينزع الانسان بطبيعته الى الانصاف اي الى عدم استطاعته تقبل الاعتساف والظلامة دون ما غصة وامتعاض، ان هذا الامتعاض وتلك الغصة ان دلت على شيء فهي اشد ما تكون على ان اعمال الاستبداد والظلم في مشهد من الانسان تطعنه مباشرة حتى كأنها تناولته او وجهت اليه فافسدت عليه راحته وطمأنينة نفسه.

ان روح الانصاف في الانسان تتألم اذا ما لمست اعمال الجور والظلم لعلة انها تنفصل عن الفرد لتلتحق بتلك الروح الموحدة العامة المتشابكة الاوصال المتصلة الحلقات، حتى اذا ما لحق المساس بالروح الموحدة نفذ الاذى الى كل روح جزئية فيها... وهذا ما يسمونه الغريزة اي السليقة العامة التي تتجمع عناصرها الفردية في مظهر واحد، يؤثر على العناصر الفرعية ويفرض عليها ارادته واوامره.

وهكذا يبدو ان للظالم فريستين الفريسة الاولى هي المظلوم والفريسة الثانية هو من شهد ظلمه. الاول يظلم بجسده او حقوقه والثاني يظلم بروح الانصاف والعدل فيه وليس المظلوم الثاني اقل مرارة وحرقة من الاول.

حتى المجرم الذي انطفأت جذوة الحق في نفسه يتوق الى العدل ويدافع عن الانصاف.

رب قائل يجيب بأن المجرم لا شك انعدمت فيه روح العدالة ولو لم يكن ذلك لما اقدم على ظلم الناس واغتصاف حقوقهم تعمدا. اجل ان الجاني لا ينصف المجني عليه ولكن هذا لا يعني ان روح الانصاف فيه قد خبت، ان ارادته لم تكن حرة طليقة اثناء اقدامه على اقتراف الذنب، لقد تجاذبها تياران جارفان تيار الانانية او حب الكسب او روح الثأر او دافع العاطفة من جهة، وتيار العدل من جهة ثانية فتغلب الاول على الثاني واقدم الجاني على جنايته.

ان العقل طابع فارق للانسان في رأي السواد الاكبر من الفلاسفة ولكن كثيراً ما تستعبد العاطفة العقل واحكامه، فتدفع بالانسان حيث تشاء وتزج به حيث تميل، فهل يفيد هذا ان العقل ليس من جوهر الكائن البشري؟ كذلك روح العدل تتنازعها قوى اصلب منها احياناً وامضى ولكن جذوة الحق المتغلغلة في اعماق الانسان لا يخبو نورها...

ذخر الانسان بالقيم الفكرية وحفل بالوزنات الروحية فجاء لوحة فنية رائعة خلقت على صورة الكمال. ولعمري من انعم النظر في تلك القيم الانسانية ادرك ادراكا حقا ان اكثر ما يشد لانسان نحو الكمال ويمنحه «بائنة» التفوق بين الكائنات هي تلك النفحة الوجدانية التي ما برحت منذ ان استحال العدم الى وجود والغفلة الى يقظة تنسم على العالم فتورق اعواده اليابسة وتعطر ارجاءه الواجمة. هي العدالة المستقرة في الاعماق، هي الحق محيط القوانين ودستور الانظمة هي محكمة الفرد في الفرد وللفرد.

ولا ريب في ان تلك الروح اذا لم تلبس جسدها لا تؤول الى شيء ولا تسفر عن شيء، والواقع ان الانسان لا يكتفي بوعي العدالة في ذهنيته وضميره بل يتوق الى سكب تلك العدالة وتثبيتها في قالب النص والاشتراع. وهكذا يبدو ان القانون الاجتماعي ليس هو عصير العقل الاجتماعي فحسب بل هو، ربيب... سليقته وايمانه بان روح القانون اي العدالة انبعثت من ضمير الانسان فهرول العقل لاحتضانها والباس جسدها العاري جلبابا يليق بذلك الجسد الجميل فكان القانون.

القانون هو تثبيت العدالة في قالب النص والاشتراع. انه تحقيق عملي لتلك الروح التي ذكرنا عنها فيما سلف والتي تولد مع الانسان وتموت معه — روح العدالة.

وهنا لا بد من وقفة واستلفات نظر. ما هي المراحل التي يقطعها القانون في ضمير

الانسان قبل ان يستوي شرعة اجتماعية مرعية الاجراء ؟ . . .

لقد اختلفت الآراء وتعددت الاجوبة فمن ذاهب الى تولية الارادة القوة الاخلاقية الكبرى التي تضمن التفوق لمن اتصل بها .

وتقول هذه الفئة تأييداً لما تدلي به من ان الارادة علامة التفوق في الانسان، ان الانسان القوي الارادة مسيطر على غيره لا مشاحة وان السيطرة على الغير هي تفوق الانسان على الانسان .

بالرغم من سداد هذه النظرية وقوتها لم توفق الى جمع كل الآراء تحت لوائها فجاء من يقول ان عنصر التفوق في الانسان هو الاحسان اي روح الرحمة فيه وقد قال مفكر كبير عبارة كثيراً ما تطرح في اندية الفكر والابحاث للتعليق والتفسير لا اعرف عنصر تفوق غير عنصر الاحسان في الانسان .

رب سائل يقول : ما هو الاحسان .

الاحسان هو احترام الغير وحبه . ان احتراماً لا يرتكز على الحب كالشجرة في الخريف عود يابس وجذوع جافة لا لين فيها ولا اخضرار .

واذا عدنا الى موضوعنا قلنا ان عدالة لا تورق على اغصانها براعم الاحسان لا تعود على المجتمع بالسلام والطمأنينة .

ان الانسان حب وعقل لكنه حب قبل ان يكون عقلا . حب باتحاد قلبه مع قلب اخيه وعقل باحترام مواهب اخيه وذاتيته . واذا لم يتحد الاثنان في الفرد اختل التوازن فيه، فاصبح آلة حاصدة او قلباً حنوناً ممرحاً يحيي بالعاطفة فتعم الفوضى في المجتمع .

وهكذا يبدو ان العدالة يجب ان تمزج بالاحسان لتستكمل ذاتها وحقيقتها . يثبت التاريخ ان الانسان ما فتيء منذ اقدم عهوده يجعل من الاحسان هدفاً يعتمد الوصول اليه وانه على دروب القرون والاجيال كان دوماً يرمي من الاحسان الى العدل ، وبعبارة اعم من الحب الى العقل اي انه كان كلما تطور وتنور، يدخل في شرعته وقوانينه ما كان يعتبره لا يخرج عن نطاق الرحمة والاحسان .

ما كان احساناً بالامس استوى عدلاً اليوم، وما هو عدل اليوم قد يصبح احساناً في الغد . لقد صدق الفيلسوف الالماني حين قال «ان عدالة اليوم هو احسان الامس واحسان اليوم هو عدالة المستقبل .»

ان الانسان في امسه لم يشأ مثلاً ان يجلد رقيقاً لاحسان في نفسه ، ولكنه اليوم لا يسوغ لنفسه ان يجلد رقيقاً لاقتصاص العدالة منه .

والبون بين المرحلتين شاسع، فضرب الرقيق كان مباحاً من العدالة غير محظور بيد ان الحب الدافق في بعض الارواح كان يحظر عليها تحظيراً معنوياً الاقدام على مثل هذا الفعل لان الاحسان والشفقة قد لا يرضيان عنه . ولكن بينما كان قلب الانسان وضميره هما رادعيه تطورت الايام فاستبدل بالضمير والقلب يد المجتمع وعقله وانزل العقوبة والقصاص بكل من تحدثه نفسه اقتراف جرم ضرب الارقاء — وهكذا توضع القوانين وتولد العقوبات تباعاً ، ما كان منافياً بالامس لضمير المجتمع غدا اليوم خرقاً لقانون ذلك المجتمع وبنائه التشريعي . وما هو مغاير اليوم لضمير المجتمع قد يمسي في الغد القريب شرعة يجب على الافراد سواسية مراعاة احكامها .

في القانون الفرنسي وغيره من القوانين اثيرت مشادة حول مشروعية حق ممارسة الزواج ببدل اتعابهم واجرتهم . فمنهم من قال ان اتعابهم لا يجوز ان تشكل حقاً مدنياً يمكنهم من اقتضائه امام المحاكم ، وغيرهم ذهب الى تكريس هذا الحق مدنياً لا طبيعياً كما تريد الفئة الاولى الا ان المشادة لم يطل عهدها حتى نص على حق سماسرة الزواج في القوانين ، فاصبح نافذاً تسوغ المطالبة به امام القضاء . وهكذا امسى احسان الامس ووجدانه عدل اليوم وشرعته .

هذا ما يحملنا على القول مؤكدين ان الاحسان افضل من العدالة وارفع ، اذ انه هدف ينصبه العدل امام وجهه فيعمل على بلوغه ومتى بلغه في نقطة ما ، يكون الاحسان قد نقل زاوية ارتكازه الى ناحية ابعد فيعود العدل الى العمل على بلوغ هدفه المنشود في محل ارتكازه الجديد ، وهكذا دواليك : احسان فعدل ثم احسان ، فعدل ثم احسان . ان ارتقاء البشر الاجتماعي والسياسي موقوف على اتمام هذه المسابقة بين الاحسان والعدل . ان لم يلحق العدل بالاحسان دوماً ليتبوأ مكانه لحق بالمجتمع التفكك والانحطاط .

وهذا التلاحق لا يعني به ان مرحلة العدل يجب ان تنفصل عن مرحلة الاحسان ان الاحسان عندما يحل محله العدل لا يترك المولود الجديد بل يمتزج به امتزاجاً كاملاً فيلين عريكته ويخصب مروجه .

فوزي غازي المحامي

اجـل ... انت تعلمين!

بقلم سعيد ابو الحسن

☆

« الى السيدة . . .

تعتقدين انني نسيت كل شيء. وان الجرح الذي بي منك قد اندمل الى الابد ولكنني لا اريد ان يندمل هذا الجرح، يا سيدتي. لا اريد، لأنني اجد فيما ينشره في كياني من ألم، لذة فائقة.

هو ينبوع سرور وحافز عمل ومبعث الهام. فكيف تريدين ان انساه؟ من مصلحتك ان افعل ذلك لانك تعتقدين ان نسياني اياه يمنحك راحة الضمير التي تنشدين. وانا لا اتطلب، يعلم الله، ان تتألمي وان يوبخك ضميرك. فبقدر ما تلذني آلامي تفرحني مسراتك. واذا شئت ان ننسى — ان انسى انا وان تنسي انت — فاسمحي لي ان اعبر عما تجيش به نفسي، ان ابعث في الفضاء بعض النفثات النفسية لاستريح بعض الشيء، واصبح اكثر استعداداً للنسيان من ذي قبل — اما النسيان مئة بالمئة فأمر غير معقول! ان جرحي لاعمق من ذلـك. وان آلامي لأعذب من ان اتنازل عنها بهذه السهولة.

تذكرين — ما في ذلك شك — تلك الليلة التي تحدثت اليك فيها. لقد كانت قاعة «وست هول» في الجامعة الاميركية ببيروت موجة دافقة من نار ونور. وكنت اجمل ما في القاعة من انوار وابهى ما فيها من روائع. وكانت جميع الانظار تتجه اليك وانت تصغين الى ما يقوله المحاضر غير مكترثة لما يرسله المتطفلون من آهات حرى ونظرات نهمة:

وكانت المحاضرة عن «الوعي القومي» وكانت محاضرة ممتعة. كان لها اثر كبير في توجيهي السياسي القومي الذي ما زلت اسير بوحيه حتى الآن. وكنت اريد ان توجهك هذه الوجهة ايضاً. وجهة القومية العربية الخالصة من كل شائبة فلا تتعرفين الى الحدود في المكان ولا في الزمان، في الدينويات ولا في الدينيات. كنت اريد ذلك. واعتقدت انه حصل!.

وخرجنا من قاعة المحاضرات ونحن في نشوة قومية علوية لا استطيع وصفها الآن. وحسبت ان هذا الجو السامي الذي خلقته هذه النشوة في نفوسنا، هذه الهزة التي تناولت اعمق مـا فينا من مشاعر موروثه وآمال كامنة مكبوتة في الوعي او في اللاوعي، حسبت ان هذا الجو هو



اجمل اطار لتركيز علاقاتنا تركيزاً نهائياً، وهو احسن مناسبة لاتحاد قلبينا بحكم الانفعال المشترك والاتجاه المشترك والهدف المشترك.

وبينما اسرع الناس الى سياراتهم او الى القاطرات سرت واياك جنباً الى جنب في هذا الشارع الطويل الذي يترك خط الترام عند باب المستشفى — مستشفى الجامعة باتجاه الشرق. وكان القمر يواجهنا بدراً كاملا

وكنت الى جانبك اشعر بالدفء والقوة والامل الكبير. واشعر فوق هذا بشيء من الهيبة كان يملأ كياني كلمـا تقابلنا وكلما هممت بمحادثتك. وكانت هذه الهيبة ناتجة عن احترامي العميق لمـا وهبه الله لك من المزايا النادرة. فـانت تجمعين الى الجمال الخارق اخلاقاً عـالية وفضائل سامية تتمنى كل عذراء ان تتحلى بجزء يسير منها.

كنت اعتقـد انـك ستعلنين تصميمك النهائي في تلك الساعة الفذة. وما كنت اقدر ان هذا اللقاء، وهذه الخلوة في هذا الشارع الطويل الجميل وهذه الليلة الطويلة الجميلة، سيكونان ككل لقاء وكل خلوة سبقتها، فقد عودتني في الايام التي سبقت تلك الليلة ان تتكلمي بلغة

افلاطونية جامدة وان تسأليني عن رأيي في محاضرة سمعناها معاً في « وست هول » او في « معهد الآداب الشرقية » او في اي مكان آخر . وكنت تجدين رأيي موافقاً لرأيك دائماً . وكنت انتظر ان تحدثيني بمستقبلنا ، بمستقبل علاقاتنا ، بما يمكن ان ينتظر كل منا من صاحبه . وفيما كان نغم صمتنا وتفكيرنا متساوقاً كوقع اقدامنا المنتظم على البلاط اللامع ، كنت انتظر ان تحدثيني انت لاني كنت عرفتك الى نفسي عند اول لقاء — أتذكرين ؟ — كشاب لا يرضى ان يحصى في عدد الشبان الاباحيين المستهترين ، ولا يمكن ان يخرج على عادات قومه العرب الاوائل واجملها في هذا الباب العفة — عفة القلب والنظر وسائر الحواس — ولا يمكن ان يتعرض لصديقة له او لحبيبة له بما يخدش سمعها او نظرها او يخيب املها ويصدم المثل الاعلى في نفسها . ولا يقبل بأن تفسر علاقاته تفسيراً ينافي ما اضمره من الاخلاص المجرد عن كل منفعة او غاية حسية .

وصرت لكثرة ما روضت نفسي اشبه شيء بالمعدن المصهور المصفى الذي تخلص من كل صدأ أو جسم غريب . وكنت اقول دائماً انني سأدحض الاعتقاد السائد بأن شبابنا لا يرجى منه خير، فهو لا يعرف مثلاً اعلى ولا يحتفظ بشيء من مزايا الاجداد . وانني سأدحض هذا الاعتقاد عملياً ، بسلوكي بطريقة حياتي، لا بالكلام والنظريات . وكنت احرص كل الحرص على الاحتفاظ لنفسي بهذه الصورة الجميلة التي اجتهدت في ان اطبعها في نفسك عني منذ البداية . كنت احرص على ابقاء هذا الجو الصافي البديع تنمو فيه علاقاتنا العريقة السامية نمواً طبيعياً متناسقاً لا يعيقه شيء .

واخيراً تكلمت — ويا ليتك لم تفعلي ! — فاذا انت تمشين على الارض وتفكرين كما يفكر سكان الارض — بينما كنت احسبك تمشين فوق الغيوم وتفكرين كالملائكة . قلت لي انه يستحيل ان يتم اتحادنا لانك لا تريدين ان تتركي لبنان وجباله وبيروت ورقيها لتذهبي الى سوريا وصحرائها ومدينتي وتأخرها . واعتقدت ان هذا السبب يمكن ازالته من الوجود بقولي لك ان الانسان هو الذي يضفي الجمال على ما حواليه وهو الذي يخلق الرقي حيث يوجد . وان الشاب العربي والفتاة العربية يجب ان يعودا نفسيهما محبة كل جزء من بلاد العرب كلها مثلما يحبان مسقط الرأس ذاته ، وان يعملا لما فيه خير كل بلد عربي وكل فرد عربي كما يعملان لما فيه خير منزلها وشخصيهما ، ولكنك لم تؤمني بما قلت وبقيت تصرين على رأيك الاول . وطلبت الي ان اقيم في لبنان ، الى جانبك فأفهمتك ان ذلك مستحيل ، لا لاني افرق بين لبنان ووطني — فانا ما كنت يوماً لأؤمن بهذه التفرقة — بل لاني مرتبط بواجبات مقدسة نحو ابوين كنت رجاءهما الوحيد ، ونحو بلد يحتاج الى الخدمة ومواطنين يحتاجون الى توجيه — وكانت حالتي المادية فوق ذلك ، لا تسمح لي بأن اعيش في الغربة عيشة لائقة .

قلت لي عند ذاك : « اذن يجب الا تفكر في زواجنا . فهو امر مستحيل . وانت اذ تهمل الناحية المادية من الحياة ترتكب خطأ فادحاً لان المادة اساس السعادة . »

فأجبتك : « ان المادة احدى وسائل الناس الى السعادة — ولكنها ليست اساسها وليست شرطاً لازماً من شروطها »

وكان جدال تعرفت من خلاله الى ناحية جديدة فيك وفي كل امرأة غيرك وهو انكن تقمن وزناً اولياً لثروة المرء المادية حتى انكن لا تنظرن الى قيمته المعنوية عندما يكون من الاغنياء .

وكانت تلك الليلة آخر عهدي بلقائك — ولكنها لم تكن آخر عهدي بك وبحبك الذي ليس له آخر . لقد ملأت روحي طاقة لا متناهية وارسلتني في الحياة مغامراً ملهماً يحاول ان يتفوق حتى على نفسه ليبرهن لك على كون الفرد العربي الواعي المثقف يمكن ان يعمل شيئاً وان يكون شيئاً بدون ثروة اذا اسعدته الحياة بمثل اعلى يقود طموحه وينبوع الهام يغذيه دائماً بالتجدد والنشاط ويمده بقوة الخلق والتعدد .

وتأكدت من انك لا تقيمين وزناً لغير المادة ، مع كونك ارقى فتاة عرفتها في حياتي ، عندما بلغني نبأ قبولك بالزواج — بعد افتراقنا بسنة واحدة — من ذلك الرجل الامي — احد أثرياء الحرب — على الرغم من اطلاعك التام على تاريخ حياته

ولقد انساك بريق الاصفر الرنان لبنانك الجميل وبيروتك المنورة — ولم يعد هناك ما يحول دون رضاك بالرحيل عن بلدك .

واستغربت قبولك بهذا السجن ، بهذه الحياة الجسدية الخالصة ، بعد كل ذاك العلم وكل هاتيك الثقافة ، وكل ذلك الادب الجم فيما تكتبين وفيما تقولين وفيما تفعلين .

وصرت افكر فيما يمكن ان يقوله لك هذا الزوج وفيما يمكن ان تقوليه له ! وصرت احار في كيف تستطيعين قضاء الساعات الطوال معه وهو لا يبدي ولا يعيد .

اجل كنت اشفق عليك واود لو استطعت الى التخفيف عنك سبيلاً . ولكن اني لي ذلك وقد ضرب بينك وبين العالم

حجاب سرمدي، اني لي ذلك وهذه النقمة تملأ كياني – اجل سامحيني – لقد نقمت عليك بعض الوقت! ثم عاد الي تسامحي وتسامي وغلبتني الشفقة والرأفة فتمنيت لك السعادة قائلاً، من قصيدة:

جرم اسار النفس والشكوى اذا انطلقت حرام
ولكل جرح صادق يا صوت في الصبر التئام

وقد رأيتك مرة تتنزهين بصحبة احدى الوصائف، وانا موقن انك رأيتني، ولكنك تظاهرت بعكس ذلك رغم ما اعتراك من رجفة وارتباك وامتقاع لون. وصرت انتظر ان تستعملي مال زوجك ونفوذه لتحيي الحفلات وتشجعي المحاضرات وتولي الجمعيات الخيرية والاندية الادبية والفنية – ولكنك لم تفعلي شيئاً من هذا. بل صرت على شاكلة زوجك مهملة متراخية غارقة في النعيم المادي الى ما فوق الاذنين – كما يقولون.

واخيراً حصل ما كنت اخشى. لقد حصل الطلاق، فعدت الى لبنانك الحلو وبيروتك الرائعة كسيرة النفس مهيضة الجناح وقد فقدت كل شيء، وقد انتقمت لي الحياة منك فلقنتك اقسى درس.

ومع ذلك فانني لم اشمت بل تألمت لمصيرك ورثيت لحالك وبقيت متتبعاً اخبارك متصلاً بأناس كنت تزورينهم ولا تعرفين اني ازورهم – بل لا تعرفين اني اعرفهم. وظللت اسأل عنك حتى قيل لي انك اخترت لك زوجاً على شاكلتك هذه المرة، زوجاً متفقاً قد يعوض عليك ما فاتك من السعادة الحقيقية وينسيك ما لقيته من الالم والشقاء.

والآن – يا سيدتي – الآن وانت تنعمين بشيء مما كنت ارجوه لك دائماً من السعادة الحقيقية – على ضفاف دجلة الخالدة قولي للمياه المنسابة امامك بتساوق ونعومة انك تجدين، بفعل الحب، في كل بلد عربي بلدك وفي كل شعب عربي شعبك وفي كل صحراء عربية بحرك وجبالك. قولي لها هذا واعلمي انك ما تزالين ينبوع الهامي الذي لا ينضب – رغم كل ما حدث افانت التي اوحت لي ادبي وسلوكي وطموحي انت المتجددة الى الابد في شخص هذه الاخرى التي عرفت كيف تجسد لي في حركاتك وسكناتك وصمتك المتأمل العميق، والتي تفوقك ترفعاً عن ترهات الحياة وفهماً لمعنى السعادة في هذه الدنيا. وما دامت هذه الاخرى الى جانبي فان ذكراك تتجدد في واقعها وفي حدوثها.

اما انت فانني اذا كنت تقدرين – لانك تعلمين انني لا اقابل نسيانك بنسيان ولا اقابل اساءتك الا بالتجاوز والاحسان – أجل.. أنك تعلمين،

المخلص «هو»

طبق الاصل

السويداء — سعيد ابو الحسن المحامي

الفجر..!

☆

وقفت على الربوة العالية ... أنظر ..!
الظلام يتكاثف ويتدافع حول الربوة يبتغي ان يبتلعها.
الناس حول الربوة عراة الا من مآزر سود ...
ذوائب نيران المشاعل تحز في احشاء الظلام فترتد مهزومة ...
الاجساد الدكناء تتصبب عرقاً، وترفر بخاراً كثيفاً
يختلط ويمتزج مع دخان المشاعل ..
الحشد الزاخر اوشك ان يفرغ من اقامة الاوثان ...
هدوء ... سكون ...

***

التف الناس حول الاوثان في حلقات ...
راحوا يعفرون جباههم عند اقدامها ...
الابتهالات الرتيبة الذليلة ترتفع بانسجام.. خشوع.. خنوع ...

***

التضرع يتعالى ... ويتعالى ... فيستحيل الى هدير ..!
الظلام يشتد ... ويتبلور!
الناس يسجدون ... صمت مطبق ...

***

الاوثان تتحرك ... الشرر ينطلق من عيونها ...
ايديها ترتفع تمسك بالسياط ...
السياط تتهاوى بعنف تلهب ظهور الساجدين ..!
الساجدون هامدون لا يتحركون ...
الظلام كالهائج المتنمر يكتم انفاس المشاعل ...
لم اعد ارى شيئاً ..!
ليس ثمة صوت سوى صوت السياط الحاد ..!

***

لبثت واقفاً على الربوة الشامخة ... انظر ..!
قطع الظلام لا تزال تتزاحم حول الربوة تحاول ان تبتلعها ...
الربوة الناصعة صامدة ...
أمواج الظلام تتطاير شظايا عند السفح ...
لا أزال ماكثاً في مكاني ... على الربوة ... وحيداً بلا وثن!

بغداد — يحيى علي النجار

من حيـــاة شـــاب

بقلم جلال فاروق الشريف

★

لمن تقرع الاجراس ، من بعيد ، صوتها يصل الي ،خافتاً واهناً في مسمعي ، مجلجلًا داوياً ،في قلبي ارتعد ولكن ممن. من الزمن ، خشية ورهبة ، انه يمر ، وهذ العقارب ، عقارب ، انهـــا تدور مسرعة وتلسع مفزعة ، انها تفر ، كأنها تطارد ، تطارد احداً ، لقد مرت مسرعة ، انها دقيقة واحدة فقط هي التي مرت ؛ ولكني احسها ، كأنها ثانية .

احس بانقباض ، اشعر باسى ، انه خوف ؛ وانها لقشعريرة ، ممن ؟ .

من مجهول ، انهـــا الدقيقة ، الدقيقة الاولى ، في عمر هذا العام الجديد .

وحيد في غرفتي ، وفي سريري قابع ، لا مدفأة ولا نار ، جسمي يرتعش برداً ، وفكري يحترق ، دخاناً ولهيباً ،والخواطر تمر ، كالسحاب ، يطارده الريح .

وحدي ، احتفل بالعام الجديد ، انا والذكريات ،بمَ احتفل؟ . نخب من اشرب؟ على ماذا آسف؟ . ولم اسر ؟ . لا أحد . كلها ذكريات ، تثيرها لحظـــات ، هي هذه ، عابرة ، لا تلوي على شيء ،تختطف الشباب ، وتذوي العمر .

كل دقيقة ، تناقص من الحياة ،وكل لحظة هموم واحزان ، على القلب تتراحم وفي النفس تتراكم . وهذه الصفحات مذكرات يا للسخرية . . حالكة ، اخطهـــا بالقتمة وانسجها بالسواد .

بم احتفل ؟ . ونخب من اشرب ؟ . ابانقضاء عام كله يأس ام بقدوم عام كله احزان ، لست ادري مـــا يخبى . ، ام بذكرى ماضية ، جراحها لم تهدأ وندوبها في القلب وقصتهـــا في هذه المذكرات تقطر اسي وتنضح شجناً .

امر بيدي ، اقلب الصفحـــات ، بصري يهوي على السطور ، الآلام تعصف بي ، آلام الذكرى ، وأنة محشرجة ، تعتلج في القلب ، وتتصاعد حارة ، وتفلت بقوة من الشفتين ، المطبقتين صمتاً ، المقفلتين وجوماً ، ويسمع لها صوت ، صوت غامض اغالب فلا اكتمها ، واجهد فلا اغلبها ، لكنها تفر ، تفر ساخرة ، انهـــا تفضح المي ، انها تشهر بي ، انني اتألم انني اذوي لا مفر من الاعتراف ولكن . . . لكني خجل ، ممن؟ . من نفسي . انني اخادع ، انا لا اتألم وليس بي شيء . لكن هذه الانة وهذه الزفرة ، انها تهتك سري تفضح كل شيء ، ولكن امام من؟ . امام نفسي .

لقد نسيت او هكذا خيل الي . لقد سلوت او هكذا قالت كبريائي . لكنها اوهام ، وكلها خداع ، انا لم انس ، انا لم اسل ، الذكرى تبرح بي ، الزمن يمر ، والاجراس لم تعد تقرع ، ولمن تقرع ؟ . لا ادري ، قد يكون لي ، انني اشيع حبي انني اقبر آمالي ، انني ابكي واشعر بالدموع ، تسيل على وجهي ، دافئة . انني اتألم واحس بالعبرات ، تنساب على شفتي ، مالحة وارفع يدي الى وجهي ، امر بهـــا عليه ، فاحس براحتي ندية ، بدمع العين ، مضرجة بدم القلب ، والغمغمات ، في حنجرتي تتدحرج ، والانات في صدري ، تصعد وتهبط ، ولكن . . ماذا . فلا تجلد . هكذا تقول العزيمة . ولقد قلت ذلك لنفسي ، الف مرة ، من الشفتين . فلا نس . ظننتني فعلت من بعيد الزمن . لكن . . هيهات .

واعود ، فأقلب الصفحات ، صفحات هذه المذكرات ، واقرأها ككتاب ، كتاب مقدس ، في منتصف الليل ، في مطلع

من الاعماق

☆

. . . وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة شاحبة من آثار الحب القديم ، يعود الشاب ليقرأ في مذكراته ، وقد اوشك الليل ان ينتصف ، والاجراس تقرع مقطوعات قديمة ، كتبها بدم قلبه ودمع عينه .

العام. وهذه رسالتي، رسالتي اليها، مخطوطة هنا في هذه المذكرات، منذ شهور، ولكنها نعم.. لكنها لم ترسل. هكذا اقول، ولكني.. نعم.. ولكني اكذب. لم اتلق رداً.

لم احظ بشيء. ولكن بم اردت ان احظى. لا شيء..

ماذا اردت. لم ارد شيئاً ولن اريد، هكذا انا.

هي.. ومن هي. كل من اراه، يقول انها عادية، ليس بها ما يجب. ليس بها ما يأسر، ليس بها ما هو خليق بالاعجاب والحب والتقديس.

ولكني انا، انا المغرور بنفسي، انا الذي ادرك سرها وحدي، ولن يفهمه غيري انا الذي خلقتها، خلقتها من حي، وخلقت كل ما فيها من فتنة.

وعند ما اريدها، عندما اصمم، عندما اعقد العزم، انا واثق ان كل عقبة ستنهار امام عزمي، نعم انا واثق انها عندما المسها، سيزول السحر، ستموت اما انا فسأنطلق من القيد.

رسالة قديمة في مذكرات الشباب

عرفتك منذ زمن بعيد، ولقد اعجبت بك منذ عرفتك، ولئن كنت لا اجرؤ على الكلام فاني على الاقل اجرؤ على الكتابة. ولئن تجرأت على الكتابة فاني اضعف من ان استطيع ان اقدم اليك بنفسي ما كتبت، فانا لم آلف هذا من قبل.

سأحاول ان اجمع شجاعتي لأقدم اليك ما كتبته، فان سرك فابتسمي وهذا كل ما اطمع فيه، وان ساءك فاصفحي، فحسبي من الاسى انني احببت، واخفقت لقد كانت بيننا —نظرة- وكل ما اطمع فيه الآن هو ابتسامة. . . .

وفي تلك اللحظة الرهيبة من تلك اللحظات القاتلة، عندما اشحت بوجهك عني ايها المعبود، فازداد وجهك فتنة لازداد في حبي شقاء، في تلك اللحظة علمت، ويا بؤس ما علمت، لقد مللت عبادتي الصامتة، وسئمت ذلي وخضوعي، وفي تلك اللحظة ادركت ويا بؤس ما ادركت، ان النهاية قريبة، ولا بد لي من جديد، من التفكير عن اعراضك وسأمك.

اما أنت ايها المعبود، يا رب المأساة السمراء، تتكرر كل يوم على ارض العرب بسمرتهم الاصيلة بنت الشمس، فكما على الكون من الاعالي، ومنذ الازل الخالد، تطل الآلهة القديمة، من فوق السحاب، من بين الغيوم، فلا يبلى قديمها او يفنى الجديد، كذلك انت، من سمائك، تطل دوماً على معبدك، لترقب الضحية، في مذبحك.

اما انا فهنا مع المساء، في الليل في الغسق، ارقبك اذ تطل مع الشفق وتشرق مع الشمس، وتسبح مع القمر، اعد الزمن واقيس اللحظة، لاصعد اليك على جناح الآلام والدموع واحرق في نارك روحي، لترتد فتية.

وكما في اعلى القمة، في الجبل الشامخ الرابض في البحر، النافذ الى السماء، بين السحاب، وفي صميم الصخر، نحت الكاهن صومعته، يعبد النار.

وكما الى النار، يمد الكاهن المقرور، يديه في صقيع القمة، يبحث عن آلهته وعن الدفء، بين النيران لاهبة، والجمر متأججاً:

كذلك نحن، انا وانت، من الفكر سنحيا في برج، بعيد بعد السماء، عميق عمق الارض، نغد الى موقد الحب، ارواحنا الجائعة لتشبع ببصرها من النار، وترتوي من اللهيب.

وكما يرى الغادي، تنساب في الصحراء اللافحة، خيوط الشمس، شقراء ذائبة كالذهب المصهور، كذلك في عروقنا، دماؤنا الزرقاء، تجري كاللهيب، دفاقة في القلب، خفاقة في الصدر.

وكما على الامواج، يطفو ضياء الشمس في احمر كالدم، في مغرب واصيل، فكذلك معبود، في هذه الاحشاء، نار الهوى العذراء، تضرى فتحيينا.

دمشق — جلال فاروق الشريف



الشاعر الياس ابو شبكة

الياس ابو شبكة

لفارس مراد سعد

☆



خمدَ الطيبُ في أعفَّ الأزاهرْ — وخبا اللحنُ في أرقَّ المزاهرْ
فرغ الصبحُ والمساء، وأفّت — هضبة الوحي في لهاث الهواجر
وخلا شاطئ الضياء، وألقى — عبثه زورقُ الشعور المسافر
حاملِ الطيب والفواغي الينا — واليواقيت من أقاصي الجزائر
صعقةٌ في العباب... أيُّ شراعٍ — يرتمي فوق فاغر اللجِّ فائر ؟
تجهرُ الريح حوله، فيلاقي — جبهة الريح بالعداء المجاهر
ثائر الروح ما تعوّد ان ينساق — للجور أو يلين لقاهر
صعقة في العباب، جهرُ صداها — في فم الموج والرياح الزوافر
سمعَ الشاطئ البعيد مداها — ووعتها كهوفُه والمغاور
وأطلّت منائر الشطّ ولهى — تفحص الافقَ بالعيون السواهر
اسئلي الريح يا منائر واطوي — صفحة اليم واقرئي اللجَّ ثائر
انها صعقة الشراع المجلّي — صعقة الحس والشعور المغامر
ايها الشاطئ الشكول رويداً — ترقبُ اليمَّ راجياً ومحاذر
لهفَ نفسي عليك، والرسل تسعى — حاملات الى الشطوط البشائر
لهف نفسي عليك، والموج يحدو — هودج النصر في مواكبِ ظافر
لا الدُّجى هامسٌ اليك بسر — لا ولا الفجر هاتف بالسرائر
فاخنق الشوق في ضلوعك واطفئ — لهب الوجد في جفون المنائر
والزم الصمت لا تفه بسؤال — ايها الشط لن يعود المهاجر
ايها النازح المغذُّ ترفّق — بقلوب تذيبها في المحاجر
لفتة منك في ربى الارز، وانظر — ما تعاني سفوحها والدساكر
يخجل الصيف ان يطل عليها — ضاحك الظل بالحليِّ النواضر



من يغنّيه في الليالي السواهي   او يناجيه في الصباح المذاكر ؟
من يصوغ العنقودَ لحناً فيُلهي   ظمأ القلب عن شفاه المعاصر
غار في صدرك النشيد وجفت   نضرة الصيف في ضحاها المباكر
والربيع الحزين قد نبذ الوشي   وعافت يداه صوغ الأزاهر
يزجر الوردَ ان يلوّن خديه   وينهاه ان يهشّ لناظر
يردع الجدولَ الطروب ، ويرمي   صادح الطير بالعظات الزواجر
فارغ الظلَ من اغانيك يأبى   عابس الجو، ان يصيخ لطائر
نسك الصيف والربيع ولف الفجر   عطفيه في مسوح الدياجر
خاشعاً في صوامع السحب يُذكي   في دخان الغيوم وهجَ المجامر
يرمق الارض من خلال دجاه   شاحب اللحظ مقشعرّ الضفائر
ينشر اليأس والقنوط ، ويبكي   فرحة الارض في حفيرة شاعر
وعيونُ الحسان ، لهفي عليها   من يغني احداقهن السواحر؟
من يذيع العفاف شعراً ، ويجلو   غامض الحس في البيان المجاهر؟
يتم الحبّ والجمال ، ففضّت   توأم اليتم باللحاظ الحواسر
تلبس الدمع في المحاجر حلياً   وتحلي بالذكريات المقاصر
عد الى دارك التي جئت منها   انت في الارض لم تكن غير زائر
لمحتك الابصار في العيش لمحاً   وتملتك في الخلود البصائر
وهمَ الناس اذ نعيت وظنوا   انك الجسم غيبته الحفائر
انك الشعر شدوه ورواه   لم تفارق الظامئات والمشاعر
دمعةٌ انت في الجفون ، وخفق   في الحنايا، وروعةٌ في الخواطر
ونشيد على المدى تتغنى   بصداه امجادنا والمآثر
تفرغ العين من سناك ، وتبقى   ملء الحس والنهى والضمائر
لست ابكيك بل اهنيك،ضمّت   زهرة الارض فيك ام الزواهر
وعلا الشعرُ نائياً عن زمان   فيه فحّت على الشعور الحناجر
ترجم الشدو في الوكور، وتطفي   دمعة الحب في ارقَ المحاجر
حبس الشعر نفسه في لهاتي   ضنة منه ان يرق لجائر
ولوى الانفَ شامخاً عن نفوس   تخنق الصدق في دخان المجامر
انها الارض تعظم الفتح يمشي   لا على الطرس بل على حد باتر
وحفيف الجناح في مسمعيها   عمرك الله ، غيرُ وقع الحوافر
خلّ فتح السماء عنك ، وعطّر   جبهة المجد من لهاث المقابر
أدمعُ الرسل في الثرى نجّرتها   في جفون الزمان زأرة قاهر!!

حقائق ولكنهـــا اوهـام

بقلم عبد اللطيف شرارة

☆

اصداء تتجاوب ، وآراء تتضارب ، تقوم بنا وتقعد في كل قطر من اقطارنا وكل بلد من بلادنا ، وفي كل حي من احيائنا، حتى لتحسب ان قيامة العرب قامت لبعث المكرمات واصلاح ما فسد من كياننا ، واحياء ما اندثر من تاريخنا، وارجاع ما ذهب من امجادنا ، فاذا اخذت تسبر الوقائع ، وتجوس خلال النفوس ، وتتملى مما افصحت عنه الحوادث تجد ان الامر ما زال كما كان: فوضى في العقائد ، وضغناً في الافئدة ، واعوجاجـاً في السير ، وخلطاً في المقاييس ، وخبطاً في ظلمات المعضلات فلا أفاق متعصب ، ولا اهتدى ضال ، ولا اعتبر في التجارب ،معتبر.

تلك هي حالنا مذ تقسمت المملكة الى ممالك ، والامة الى امم ،مذ حطت اقدام المغول في بغداد، مذ اقبلت جيوش الصليبيين يحدوها الطمع بأرض الميعاد، مذ انكفأ سلطان العرب عن اسبانيا مذ اصبح كل عبد مثل كافور واضرابه يحكم في رقاب الناس ، ويتصرف بالأموال والاعراض ، ويصرف الأهواء والعقول .

ولقد تعجب ان تكون حالنا كذلك ، وانت تشهد كل ما انتجت المدنية الحديثة يطير في سمائنا ، ويحبو على ارضنا، ويتغلغل في ديارنا ، حتى ليبلغ عقولنـا ويحوم مع انفاس خواطرنا .. بيد انه ، على الرغم من هذا كله ، ما زال كما كان، بعيداً عن قلوبنا .

اقول ان هذه المدنية التي انتقلت الينا انتقالا، والتي «نشتريها» كل لحظة وكل ساعة بكرامة نفوسنا ، وعرق جباهنا ، وحراقة دمائنا ، ما زالت — في وضعها الراهن — بعيدة عن قلوبنا لا تثير فينا احسوسة واحدة من احاسيس النعيم ، ولا تحرك فينا وتراً واحداً من اوتار السعادة، وما ذاك الا لأننا ما زلنا نشتريها بضاعة اجنبية من التجار الاجانب: اهل اوربا واميركا...

واذا حدثوك عن سر هذا الشقاء قالوا: « ان العالم يجتاز مرحلة عسيرة من التقهقر الاخلاقي جماته يرزح تحت الرذائل ، وينوء بما حمل من جرائم الفساد ، فلا مندوحة لك عن ان تصبر وتتحمل ريثما تنفرج الازمة ، ويعم العلم الحديث ، ونصبح في مستوى الغربيين .»

واذا حدثوك عن بلدك قالوا: « ان لبنان همزة وصل بين الشرق والغرب ، فما ينبغي له الا ان يكون كذلك ، فينقل للشرقيين روائع الحضارة الغربية ، ويعيش مع الغرب في سلام لتحقيق هذه المهمة الجسيمة ! ».

واذا حدثوك عن الانقسامات التي تنخر كالسوس في صميم البلاد ، وتجعلها عقيمة لا تنتج ، مقعدة لا تنهض، معرقلة لا تتحرك قالوا: « تلك من سنن الطبيعة وظاهرات التاريخ الحديث ، فالعالم كله ينقسم اليوم الى يمين ويسار ، فلكي ننهض، يجب ان نسلك سبيلاً وسطاً مذبذباً بين يسار ويمين ، فتربح بذلك انفسنـا ونحفظ كياننا ».

هكذا وهكذا في كل شاردة وواردة من شؤوننا العامة ، تقع على فيض من النظريات والتفاسير تشبعك ، وانت الجائع ، كلاماً يحسبونه معقولا، وترويك ، وانت الظامىء ، الفاظاً يرونها معسولة ، حتى استحالت الاوهام الى حقائق ، واصبحت على كل شفة يتناقلها الناس كما يتناقل طلاب المدرسة حقـائق الحساب والكيمياء في مذاكراتهم واسمارهم...

هذا الجو من الافكار الذي يتقلب فيه الشرقيون موبوء! هذه الآراء ليست غير شائعات واهواء ودسائس! هذا النمط من التفكير الذي يتبعونه ليس على شيء من السلامة والصحة!! هذه التصرفات التي يتصرفها اقطاب العرب وساستهم والنافذون منهم لا تدفع شراً ولا تثمر خيراً!

ذلك ان البلاء الذي نعانيه في مختلف ديارنا وشتى اقطارنا لم يكن في يوم من الايام ولا في لحظة من اللاحظات ناجماً عن اضطراب العالم وتدهوره الخلقي، ولا عن الموقع الجغرافي، ولا عن التضاد بين اليمين واليسار، وانما نجم عن تقاعس رجالنا، وشدة الفتن بنا، وتحكم الاهواء في اعمالنا. هذي هي الحقيقة فلم لا نقولها؟ وكيف لا نصدع بها؟

يجب ان نملك القدرة على مواجهة الواقع. والواقع ان داء الانسان، اي داء واي انسان، لا يكون الا في طريقة تفكيره، في وجهة فهمه، في غاية اعماله، اي في نفسه بقول مختصر، فاذا القى بالتبعة عن عاتقه ليلقيها على غيره، ولو كان هذا الغير ابليس او جبريل، لما خرج بذلك عن كونه مسؤولاً، لان هذا الاسلوب عينه في تبرير النفس وتجريم الغير، يدل على الضعف والانحلال.

ثم كيف يكون تداعي القيم الروحية في اوربا مبرراً لتدهور الاخلاق في بلادنا؟ ما هو هذا المنطق وما لونه وما طعمه؟؟ أاذا عثر الغرب ودب فيه التفسخ واستحوذت عليه شياطين الجشع والرذيلة يكون ذلك سبباً كافياً لنعثر نحن ونقع فيما وقع به؟؟

ان هذا الموقف ادعى لان نجاهد ونجالد لانقاذ انفسنا وانقاذ العالم، وما في ذلك شطط ولا غرور، فنحن ابناء الشرق اليوم اعرف الناس بآلام هذه المدنية وويلاتها، اذ لم نذق من ثمارها غير الظلم والهوان، ولا طلعت علينا بغير الرياء، والاستعمار ولا اطلتنا منها على غير المزالق والموبقات.

اما الذين نعموا بخيراتها، واكلوا من ثمارها فما نعموا الا على شقاء الشرقيين ولا اكلوا الا لان غيرهم جاع، وان تاريخهم من الفه الى يائه ليشهد بهذه الحقيقة ويضعها موضع اليقين، فما نهضت روما الا على اشلاء قرطاجة، ولا مشت اوربا في طريق المدنية الا بعد ان اعملت المدى في رقاب العرب في اسبانيا، ولا تقدم الغرب الا حين اخذوا بالاستعمار وعاشوا على جهود الضعاف المغلوبين.

لا بد اذن من «حضارة» جديدة غير هذه الحضارة المؤسسة على الحرب والجرائم، لا بد من حضارة جديدة يشيدها اقوام غير اقوام اميركا واوربا، يكون من شأنها ان تنتشل الشرق والغرب معاً، وتعود بالحياة الى صيغة أسمى من هذه الصيغ القذرة التي تنبعث منها رائحة الشهوات الدنيئة والمآرب الصغيرة الضيقة. لا بد من تحويل مجرى الافكار نحو هذه الناحية ليخلص الشرقيون من الاستعباد والاستعمار، فقد اثبتت التجارب انها هي الوسيلة الحقيقية للتحرر الحقيقي، ولا بد من تحويل مجرى الفعاليات عند الشرقيين لتصب في مصب واضح يطمئن المرء فيه على نفسه وحياته ومصيره.

وان رجعنا ننتظر الخلاص على يد الغرب، او على يد حضارته فكأننا نتطلب في الماء جذوة نار!!

اعود الى «الحقيقة» الثانية الموهومة وهي ان لبنان صلة بين الشرق والغرب فأورد هذا السؤال: «كيف يكون بلد ماصلة بين بلدين او بين عالمين؟»

ان كان المقصود من ذلك الناحية الجغرافية بمعنى ان من يعبر من بلدة (ا) الى بلدة (ج) مضطر بحكم موقع البلدة (ب) القائمة بين ا و ج ان يمر في ب فهذه ميزة - ان كانت ميزة - تتمتع بها جميع بلاد الله اطلاقاً، لاسيما وان الارض كروية تلتقي اطراف خطوطها، فكل نقطة فيها بداية كما انها نهاية، وكل نقطة صلة بين نقطتين من سطحها، وبذلك تصبح البرتغال صلة بين اميركا واوربا، لان موقعها الجغرافي من اوربا يشبه موقع لبنان من آسيا، وتصبح سان فرنسيسكو صلة بين اميركا وآسيا للسبب نفسه. وهذا مما لم يخطر ببال احد ولا جاهد احد في سبيل اقراره!

وان قصد به الناحية الثقافية، توكيداً لما اضطلع ويضطلع به لبنان من نقل الفكر الاوربي ومظاهر الحياة الغربية الى بلاد الشرق، فهذه ايضاً قضية مشتركة بين لبنان وكل بلد آخذ بأسباب الرقي والعمران. وما احسب، ولا احد يحسب، ان نصيب مصر من هذا الأمر يقل عن نصيب لبنان، بل ان الهند نفسها، على بعدها من اوربا، تمكنت في كثير من بيئاتها، ان تنقل الثقافة الاوربية وان تهضمها الى حد بعيد!

ثم ان نقل الآداب والفنون والعلوم من قطر لقطر، ومن شعب لشعب ليس «وظيفة» يعبر بها الشعب عن شخصيته الصحيحة العميقة، ويبني منها وعليها اساساً لكيان واضح مستقل، فقد درجت الشعوب قديمها وحديثها، على الانتفاع بتجارب غيرها والاستفادة من مخلفات العلماء، والادباء، والفنانين اياً كان جنسهم ولونهم، ولا تزال الامم الى يومك هذا، تتناقل المعلومات، وتتبادل الانتاج الفكري فيما بينها، فنجد فرنسا - وهي اخصب الامم الغربية انتاجاً - تقبل على الادب الروسي مثلاً برغبة تفوق

رغبتها في آدابها هي، حتى ان الادباء الافرنسيين كانوا يتظلمون من انصراف مواطنيهم عن آثارهم، وتعلقهم بالترجمات، ووصل بهم هذا الامر الى التنادي لصدّ هذا التيار وايقافه عند حد معقول!!

اريد ان ابين بذلك ان مهمة لبنان الثقافية — اذا صح وكانت وصل عالمين — لا تعطيه صفة ضرورية دائمة، ولا تجعله في حل من تاريخه، ولا ترده الى «برزخ» ذي طرفين: اولهما في عالم، وثانيهما في عالم آخر، فلبنان كما هو، وكما كان، وكما سيكون، بقعة شرقية خالصة في شرقيتها، له ما للشرق، وعليه ما عليه.

هذي هي حقيقة لبنان!!

اما مشكلة اليمين واليسار فانها اعظم هذه «الموهومات» أثراً وتأثيراً، اذ انبعثت في حياتنا وليس لنا يد فيها ولا لقيامها مبرر في اجواء تفكيرنا، فكانت كارثة تهون عندها الكوارث، لانها لا تنتهي ولا تحل ما دمنا نتناولها بهذه الروح الضيقة المضطربة، وما دامت تسلك بنا في طريق الانقسام الدائم وهي انما وجدت، او اوجدها الاجانب، لتبقي على انقسامنا، وتوقد نار الفتن كلما خبا لهيبها في ربوعنا.

من الطبيعي المعقول ان ينقسم الغربيون الى معسكرين: يمين ويسار، لان هذا النمط من المعسكرات الفكرية، يأتلف في جوهر تركيبه وقرارة مفهومه وحتى في طريقة التعبير عنه، مع تاريخ الغرب وعقلية سكانه واطوار نشوئه ونموه. وذلك لان الحضارة المادية اخذت الحياة على انها «دائرة» يتقلب فيها الاحياء ولا يخرجون منها، فكان من المنتظر ان تنشأ عندهم فلسفة الحرية والحرية في عالم الحوادث والاشياء والوقائع ليست اكثر من فلسفة وكان من المنتظر ايضاً ان يتصادموا ويتقارعوا في اطار حضارتهم فهم يعلنون عند نهاية كل قراع ان المدى الحيوي كان سبباً رئيسياً في تصادمهم، واخيراً، كان من المنتظر ان ينقسموا الى يمين ويسار اذ ليس في الدائرة حين نقسمها الى شطرين غير هذين النعتين لشطريها.

ولكن الحضارة الشرقية لم تأخذ الحياة في يوم من الايام على انها دائرة بل كانت ولا تزال في نظرها الاصيل «سلماً» يرتقيه الانسان، ولا يأتلي يرتقيه، الى اعلى الدرجات، الى اكمل الكمالات الى منبع الخيرات، الى سيد الكائنات، الى «الله»! ولذلك، كان هذا الشرق مهد الاديان، ومهبط الشاعرية، وسرير الصوفية من اقصى الايام الى هذا اليوم!!

فاذا تدبرت الآن الفروق — وهي كثيرة — بين السلّم والدائرة عرفت الفواصل بين حياة الشرق وحياة الغرب، وبالتالي بين طرائق التفكير وطراز المعيشة ووسائل العمل واهدافه، في هذين العالمين:

واول ما يتضح لك ان ليس في الطبيعة شيء اسمه «سلّم» بينما تجد الدائرة في الارض، في الافق، في الشمس، في القمر، في كل ما تقع عليه العين من الافلاك، وكل ما يصل اليه العقل من القوانين التي تسير بموجبها. السلّم بناء انساني، فهو من مخترعات العقل الذي حبب اليه الصعود، والدائرة ظاهرة قديمة ابصرها الانسان ولم يكن له رأي في تكوينها. السلم يقسم الطريق الى درجات ومراحل فهو يوضح موقف كل امرىء عليه بمجرد موقفه فيه، والدائرة تسوّي بين البداية والنهاية فلا تميزهما حتى لتزرع الفوضى في اخلاق الدائرين عليها. السلّم يضع كل امرىء في منزلة معينة، والدائرة تضرب صفحاً عن المنازل فلا فرق لديها بين عال وسافل، وشريف ودني..

ومذ كانت الحياة الشرقية سلّماً لا دائرة، اي بناء يشيده الانسان ويصعد عليه ويعين فيه منزلته، اصبح من الجهل ان نقول بيسارية فلان ويمينية فلان!! هناك درجات للكفايات على انواعها من سياسية واخلاقية وعلمية وفكرية وادارية، ينبغي لنا ان نصنف الناس بحسب مواقفهم فيها، وحينئذ يقف كل امرىء عند درجته فلا يتخطاها، وذلك لا يتم ولن يتم الا حين نتنكر لهذه الحزبيات السخيفة والمعسكرات المبدئية الدخيلة على عقولنا، الا حين نواجه انفسنا كشرقيين لهم تاريخهم وتقاليدهم ومبادؤهم، ولهم نقائصهم وكمالاتهم، التي لا يشاركهم فيها احد.

واذا بقينا نتنازع ونتطاحن في دائرة ضيقة من يمين ويسار، فلن ننهض، ولن تعود علينا هذه الآراء والمبادىء باكثر مما عادت على مبدعيها واصحابها في الغرب، اي بالكوارث والجرائم والمعارك المتلاحقة المستمرة. فما يريد اليساريون المخلصون الا ان يسري العدل وترتفع العبوديات وتحقق الحريات، ولا يريد اليمينيون المخلصون الا ان يقف الاعتداء وتضمن الحقوق والارادتان حريتان بالاحترام والتنفيذ، فليس ثمة من حاجة الا للهدوء والعمل.

والعمل لا يتم ولا يكون الا في جو من الفهم الصحيح... لا في جو من الاوهام!

صبدا — عبد اللطيف شرارة

من أساطير القدماء

عشق وسحر

ترجمة : ماجد سعيد فرحان

في يوم من الايام، كان غلوكس Glaucus –أحد صائدي الأسماك – واقفاً في بقعة غير مأهولة لم تغشها قط قطعان الماشية ، حتى ولم يزرها احد غيره من قبل . ثم القى شباكه في النهر وجذبها ، واذا فيها عدد وافر من الاسماك الكبيرة المتنوعة . فوضع هذه الاسماك على العشب ليفرز الجيّد من الرديء ، وفجأة دبت الحياة فيها ، واخذت تحرّك زعانفها كما لو كانت في الماء . وبينما هو ينظر اليها حائراً مبهوتاً من شدة العجب ، جنحت الى الماء ، فغاصت فيه واختفت . فتولته الحيرة والذهول ؛ ولم يستطع تعليل ما شاهد ، غير انه ظن ذلك من فعل الآلهة ، او من تأثير قوة خفية في الاعشاب ، فصرخ متعجباً : « واي نوع من الحشائش له هذه القوة الخارقة ؟ ! » . ثم جمع قليلا منها وذاقها ، وما كادت عصارتها تبلغ سقف حلقه حتى عصفت به رغبة عنيفة تجذبه الى الماء. ولما لم يكن قادراً على كبح جماح هذه الرغبة الثائرة ، ودّع اليابسة للمرة الاخيرة ، وغاص في الجدول الجاري . فاستقبله آلهة المياه بكل حفاوة ، مظهرين عظيم سرورهم بالشرف الذي اولاه اليهم بمجيئه . ثم طلبوا من ملوكهم ان يوافقوا على اضمحلال كل ما هو بشري فيه . ففاضت عليه مياه مئة نهر وافقدته في الحال كل معاني ووجدانيات طبيعته السابقة . وعندما ثاب اليه رشده ، رأى أنه قد تغير شكلاً وعقلاً . فصار شعره – وقد وخطته خضرة الاعشاب البحرية – ينسدل وراءه ، واعرضَ كتفاه ، وتحوّل فخذاه وساقاه الى ذيل عريض كذيل السمكة . فهرعت اليه آلهة البحر تحييه وتهنئه بتغير مظهره . اما هو فصار يتصوّر نفسه بعد ذلك الحين شخصية باهرة الحسن ضافية الجمال .

وفي ذات يوم ، رأى غلوكس سيلّا Scylla الغادة الهيفاء ، رآها تتنزه على الشاطىء ، ثم تتقدم الى زاوية ظليلة وتغسل يديها في مائها الصافي . فأحبّها مذ رآها ؛ وأخذ يخاطبها بكلام رقيق عذب ليغريها على المكوث هناك . اما هي ، فعندما لمحته ولت هاربة حتى انتهت الى صخرة عالية مشرفة على البحر . فتوقفت هناك قليلًا ، والتفتت الى الوراء لتعرف ما اذا كان ذلك المخلوق إلهاً ام حيواناً بحرياً . فتأملت شكله ولونه وهي جد معجبة بهما. اما غلوكس فبرز من الماء قليلا ، واستند الى صخرة وخاطبها قائلا : « لا تظني ايتها الفتاة انني من الوحوش او الحيوانات البحرية بل اعلمي اني إله ، لا يعلو عليه في المكانة بروتياس Proteus ولا ترايتون Triton ! لقد كنت انساناً فيما مضى ، وكنت اجيء الى الشاطىء لاكسب القوت ، ولكنني الآن دائم البقاء في البحر لا ابرحه ! . . » . ثم قصّ عليها كيف تغير شكله وكيف ارتقى الى ذلك المقام الرفيع – مقام الألوهية – ومضى في كلامه قائلا « ولكن ما الفائدة من هذا الكلام ، ان لم استطع ان احرك اوتار الحب في قلبك ؟! غير ان سيلاً انحت عنه بصرها وانطلقت هاربة .

فتطرّق اليأس المرير الى نفس غلوكس ، واخيراً هجس في خاطره ان يستشير ابنة الشمس الساحرة سارسي Circe . فذهب الى جزيرتها – وهي الجزيرة التي رست عليها سفن اوليس Ulysses فيما بعد – . وبعد التحيات المتبادلة قال لها : « التمس منك العطف والشفقة ايتها الالهة المكرمة ! انت القوة الوحيدة التي في وسعها ان تخفف عني وطأة الآلام التي ارزح تحت فوادح اثقالها ! وانني اعرف ما لخاصيات الاعشاب من تأثير ومدين لها بتغيير شكلي! وكم يبلغ بي الخجل عندما اسرّ اليك حبي لسيلا الفاتنة ، واعرض عليك كيف تحببت لها ، بينما كانت تقابلني بالاستهزاء والسخرية اليك اتضرع يا الهتي ان تستعملي الرقى او الاعشاب الفعالة ، ان كان وجودها اسهل لديك ، لا لأبرأ من داء الحب – اذ لا رغبة لي في ذلك – ولكن كي تجعليها تبادلني اياه » . فأجابته الآلهة الساحرة ، وكان قلبها يميل اليه كل الميل : « الاجدر بك يا صاحبي ان تصرف نظرك عنها الى فتاة غيرها تكون بطبيعتها ميّالة اليك انك تستحق ان تُطلب ، لا ان تَطلب وترجع خائباً . قدّر نفسك حق قدرها ولا تكن حيياً ! ولا اكتمك القول بأنني – على مكانتي السامية من الالوهية ، فضلا عن خبرتي الطويلة في خاصيات

الاعشاب والتعاويذ — لا ادري كيف تطاوعني نفسي ان اعرض عنك ؟! فان كانت سيلا تحتقرك فاحتقرها ولا تعرها انتباهاً!». فرد غلوكس عليها قائلا: «انه لمن الاسهل ان تنبت الاشجار البرية في قعر المحيط، واعشاب البحر على قمم الجبال، من ان اقلع عن حب سيلا او عن التوحيد في حبها !!»

فحنقت الالهة عليه، الا انها لم تعاقبه لانها تحبه من اعماق قلبها. ولذلك كان سخطها عظيماً على خصمها، سيلا المسكينة، فأخذت الساحرة قليلاً من النباتات السامة ومزجت بعضها ببعض وفي الوقت نفسه كانت تحضّر الطلاسم والرقى. ثم خطرت بين الوحوش المتصارعة — وهي من ضحايا فنها السحري — وتوجهت نحو شاطىء صقلية حيث كانت تسكن سيلا البائسة. وفي خليج صغير اعتادت سيلا ان تتردد اليه عند اشتداد حر الهاجرة كي تستحم في مائه البارد، وتستنشق نسيم البحر العليل، افرغت الساحرة ذلك المزيج السام، وتمتمت عليه التعاويذ الفعالة. اما سيلا، فجاءت كعادتها وغاصت في الماء حتى خصرها. وفي الحال نظرت مشدوهة من شدة الخوف الذي تسرب في شعاب قلبها، عندما رأت فصيلة من الوحوش والثعابين تحيط بها فاغرة اشداقها! ولم تتصور في بادىء الامر ان هذه الحيوانات جزء لا يتجزأ من جسمها ولقد همت بأن تهرب منها، لكن تلك الحيوانات ظلت تلازمها حيثما توجهت. وعندما حاولت سيلا ان تلمس ذراعيها، شعرت بالأشداق المرعبة تطبق على اصابعها! فجمدت في مكانها من شدة الرعب، ولم تبد حراكا. وتعكر مزاجها حتى صار مذموماً كشكلها. والدليل على ذلك، انها اصبحت تجد اللذة كل اللذة في اغراق البحّارة التعساء الذين اوقعهم القدر في قبضة يديها: وهكذا اهلكت ستة من رفقاء اوليس، وحاولت ان تدمر مراكب أنياس Æneas، ولكنها تحولت اخيراً الى صخرة صماء، كانت منذ ذلك الحين مصدر هول ورعب عظيمين لقاطعي البحار.

القدس ماجد فرحان سعيد

الى الشعراء ..

للشاعر الالماني : هيلدربه

☆

الشعر، هذه الريحانة الزاهية في حديقة الفن، سيصل، ايها الرفاق، الى الذروة بعد ان تنضجه الحياة وترويه خمرة الالم المقدس فلندن به، ونقدم على مذبحه كل قرابين نفوسنا ..

ستتفتح اكمامه، كما يتفتح الانسان عندما يتغلغل في اعماقه نور الشمس وتلهب دمه حرارة الربيع، في ذلك الحين الذي يصير هو والحياة كلاً لا يتجزأ: تصدح فيصدح معها وتغني فيرجع صدى انغامها، وتبكي فيغدو ناياً يوقع حزين الحانها ..

فلنلبس مسوح القداسة ونركض عراة حفاة الى حيث الهدوء الذي يوحيه الجمال ..

لننطلق، تغرينا دواعي الفتنة، الى حيث نصلي في الخلاء للسماء وللاشجار وللرياض وللسواقي وللنواعير. هناك سنتعرف الى السر الاعظم، وما اعظمه من سر! ..

لنكن مؤمنين، كما آمن الاغريق. ولنتعبد كما تعبدوا ..

لنهتف من الاعماق بالآلهة، ونضع امام اعيننا اليوم الذي سيتلاقى فيه الكل كما ولدتهم امهاتهم ..

اهربوا.. اهربوا من الضوضاء والضجيج.. انهزموا من العربدة.

خذوا الشعلة التي تتأجج في قلوبكم ومسوا بها كل ما يحيط بكم لتضرموا النار الكبرى التي ستأكل كل عفن وقبيح.

حطموا القيود، واذيبوا السدود، ولا ترضوا بغير الحرية لوجودكم ولانفسكم. بشروا بها للغصن وللوردة وللموجة وللنسمة ولكل شيء ..

احبوا المرأة، كما تحبون الحياة. احبوها، واحبوا ثمرها. ضعوها بمكان النموذج الذي تصنعون دواماً على غراره. اعرفوا عن طريقها سبل الجمال، آمنوا بطينتها المقدسة لتؤمنوا بالآلهة. احرقوا حولها اكبادكم لتمتزج روائحها بالعطر الذي تنشره فيملأ الجو ضباب من اللهب يحس الانسان وسطه انه قد عرف نفسه.

لا تقولوا شيئاً تتعلموه بلسانكم ولا تحسون به بقلوبكم. انطقوا تجاربكم وآلامكم وغرائزكم. وبذلك تستطيعون ان تجيبوا على الاصداء التي تبثها الطبيعة الخالدة في ارواحكم:

ان الوردة الضاحكة لا تبتسم الا للشمس، وان الموجة الرقراقة لا تلمع الا لتداعب النسمات الهائمة، وان المرأة الناضجة الشهية لا تدخل قلوبنا الا اذا احاط بها اطار من الزهور وهكذا نحن يجب ان لا نبتسم ولا نغني ولا نوقع ولا نبكي، ما لم نحس احساساً قوياً بان في قلوبنا عاطفة مخنوقة وان في ارواحنا شعوراً مدفوناً.

لا تقفوا ابداً. وابقوا، طول حياتكم، سائرين، تتبعكم جموع الضالين، الى قبلتكم الكبرى: الطبيعة الخالدة ..

بغداد فؤاد طرزي

التاريخ العربي تحت مبضع العقل

بقلم هنا عمر

اذا كنا في حياتنا كلها نحتاج الى مبضع العقل يبتر منها اشياء ويبقي على اشياء. فنحن احوج ما نكون الى المبضع القاطع في تشريح تاريخنا لان هذا التشريح يتعدى الفن والعلم الى السياسة والاجتماع، ويتجاوز الدرس الى صميم الحياة.

وتاريخنا ما يزال في اكثره تاريخ افراد لا تاريخ امة، وقد اثر هذا الطراز من البحث التاريخي في رجال السياسة والاجتماع منا تأثيراً اصبح لنا معه — والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه — عدد كبير من المصلحين والقادة الذين يعتقدون ان في قدرة كل واحد منهم ان ينهض بالأمة العربية كلها الى اوج المجد والعز والسيادة، ولا يحتاج الامر الى غير كلمة تخرج من فيه كأنه قرين الفرزدق يسير الناس خلفه اذا سار، ويقفون مغضين اذا اومأ لهم بالوقوف.

والباحثون الناقدون في نظرهم الى الحوادث الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الخ فرق اربع، فرقة ترى ان الحاكم الفرد ينشيء الممالك بجده، ويعلو بها بدهائه ويثبت دعائمها بذكائه، اما اذا كان جاهلاً فهو يزعزع اركانها، ويهدم كيانها، ويحطم بنيانها فالاسكندر في عرف هذه الفرقة انشأ مملكة اليونان الواسعة ولولاه لم تكن شيئاً مذكوراً، ويوليوس قيصر قاد رومة الى ميادين النصر ولولاه لكانت فريسة الفوضى والضعف، ونابليون قهر اوربا بفنه الحربي، ولولاه لم تكن فرنسا غير عاجزة ضعيفة، واذا كان ذلك فعل قدرة الواحد منا — او من قادتنا — ان يمد عينه الى مراكش وشماله الى بلاد الافغان، فينشيء دولة تهدد اوربا بالفتح وتزاحم اميركا في الفن، وليست الجماهير عند هذه الفرقة من الباحثين الا غثاء تتبع كل قائد، وتسير وراء كل ناعب، ومن هذه الفرقة اكثر القدماء من المؤرخين والباحثين، ومن يسير على غرارهم من ابناء المائة (القرن) العشرين، اما انا فلا اؤمن بالفرد ايماني بالجماعة او جزءاً من هذا الايمان.

وفرقة ثانية ترى ان للبيئة اثرها في التاريخ وللأمة تأثيرها في الافراد، ولكن اثر الافراد في رأيها اقوى، وتأثير القادة اشد واظهر، ومن هذه الفرقة عدد من النقاد القدماء، ومن مشى على خطواتهم من المحدثين.

ولا تريد الفرقة الثالثة ان تتعرف الى الافراد، او ان تقيم لتأثيرهم وزناً فنابليون عندها قد انتصر بقوة الجيش الفرنسي لا بدهائه الحربي، والاسكندر قهر الفرس بطاقة اليونان لا بقدرته وقد وقفت صور وحدها في وجهه ستة اشهر او سبعة، وقطع عشرة آلاف جندي يوناني، بلاد الفرس من طرفها الى طرفها قبله دون ان يجرؤ الفرس على مقاومتهم، وعندما حلت الهزيمة بالجيش الالماني لم يستطع هتلر ان يفك فتيلاً، ومن هذه الفرقة المتطرفون من نقاد القرن التاسع عشر والقرن العشرين ونحمد الله ان بلادنا خالية من امثالهم ولا استثني نفسي ولا بحثي هذا.

اما الفرقة الرابعة فانها لا تنكر اثر الفرد كل النكران، ولكنها تجعله تبعاً للبيئة، وخادماً اميناً للأمة، يقودها في الطريق التي يشقها لها وله تطورها وثقافتها، والفرد في رأي هذه الفرقة يظهر اذا طلبته البيئة، وينبغ اذا احتاجت اليه الامة، وانصار هذا الرأي لا ينكرون قدرة الاسكندر ولا مقدرة القيصر ولا نبوغ نابليون ولكنهم يجعلون الاسكندر وليد القدرة اليونانية، والقيصر ثمرة العظمة الرومانية، ونابليون قذيفة من قذائف قوة فرنسا الحربية.

والذي نراه ان الافراد يقدرون على قيادة الامم الى حد محدود لا يستطيعون ان يتجاوزوه، ويسيرون بها في سبيل تشقها الثقافة والعلم والاجتماع والاقتصاد والسياسة والماضي وسائر العوامل التي تؤثر في الامم فتنقلها من حال الى حال، وترقى بها من درجة الى درجة، او تحطها من درك الى درك.

اما تاريخنا العربي فالغريب ان يكون المجهول منه تاريخ امة وتطوراتها، وحياة شعب وثقافته، وان يكون المعروف منه تاريخ افراد يصلحون الامة اذا صلحوا، ويفسدون الشعب اذا فسدوا، ولكن الغرابة تزول اذا عرفنا اننا نبحث تاريخ الجاهلية عاقلين ناقدين، ونبحث ما بعدها جاهلين مقلدين واذا لم نفرق في الجاهلية بين عهد وعهد، ونميز بين قطر وقطر فلأن طرازنا من البحث طغى علينا فأفسد نقدنا.

ولم تكن البلاد العربية في الجاهلية قطراً واحداً متماثلاً، ففي الجنوب اليمن ولها تاريخ مجيد ومدنية راقية بنت السدود تجمع

ما وراءها ميـاه المطر وقد اقر المهندسون الاوربيون في القرن العشرين ان هندسة تلك السدود قد بلغت ذروة عالية من الفن الهندسي الراقي ، وكان في الشمال الغساسنة والمناذرة وكلاهما على شيء من الحضارة الفرسية والرومية ، وكان في الوسط قوم جمعوا بين البداوة والحضارة وتحفزوا الى الرقي والتقدم.

ولم يقفز العرب في تاريخهم من الجهل الى العلم قفزة واحدة ، ولم ينتقلوا من الضعف الى القوة دفعة واحدة فتـاريخ الامم لا يعرف الطفرة ، ولا يؤمن بالقفز والوثب ، والدفع والطيران:

وتاريخ الجاهلية عصور وادوار كان العرب في الدور الاخير منها على استعداد لقبول الاسلام وتعاليمه ، فاعتنقه فريق كبير من العرب ، واثرت التقاليد واسباب اخرى في فريق ثان فقاومه وكان ما كان من جهاد النبي ،وما اصابه من اذى في سبيل دعوته وما ناله من نجاح في نشرها ، والبذرة لا تنبت في ارض موات ، ولا تجاهد في ارض مروية خصيبة ، ولكل قوم نبي منهم ، واذا اراد الله امراً هيأ له اسبابه ،وقادة الاسلام قوم ولدوا في الجاهلية وفيها درجوا وايفعوا واكتهل بعضهم ، ولو كانوا كقوم عـاد وثمود لاهلكهم الله ولم يرشدهم الى الايمان .

وقد اهمل طرازنا من البحث التاريخي الامة العربية وتطوراتها واغفل تأثراتها وانفعالاتها وتنقلها من دور الى دور ، وانتقالها من عهد الى عهد، وانصرف الى الافراد يعالجهم ويتتبع الاسباب فيخطىء ، ويعلل المظاهر فيوفق حيناً ويضل احياناً ، وكان من آثار هذا الطراز ان رمى المؤرخون الامة وبعض الافراد بوصمات كلاهما منها براء ، وبوأ افراداً آخرين مراتب الآلهة والقادرين يقولون للشيء كن فهو كائن .

وكان من شأن اهمال الامة وتأثراتها وميولها ان رمى بعض المؤرخين علي بن ابي طالب « باضطراب الادارة وضعف السياسة » ولم يجد انصاره في الدفاع عنه غير السياسة يذمونها فاذا هي بئس الحرفة حرفة الكاذبين والمنافقين ، ونحن نرى ان علياً لم يكن ضعيف السياسة مضطرب الادارة ، بل نرى انه لم يكن ليقل عن معاوية ذكاء ودهاء ، ولكن التاريخ تاريخ امة لا تاريخ افراد .

وكان الامين في نظر طرازنا من البحث التاريخي جـاهلاً مغفلا يتلهى بصيد السمك والعدو يحاصر بغداد الى آخر ما يروى عن الامين من المضحكات المبكيات ، اما بنو امية فلم يضعف من ملكهم غير سكر الوليد ، وتزاحم الامراء على الخلافة ، واما العرب فلم يذهب بسلطانهم غير المتوكل حين التجأ الى الغلمان الاتراك فقضوا على الامة التي قضت على ملك الاكاسرة وزعزعت سلطان القياصرة ، اما عمر بن الخطاب – فاتح العالم – فقد قتله غلام فارسي لانه لم ينصفه ،الى آخر ما هنالك من آثار بحثنا التاريخي ،وما علينا من الجهل والثقافة والاخذ باسباب الحضارة والاتحاد فان مستبداً عادلا منا يستطيع ان ينهض بنا ولو كان علمنا معلقة امرىء القيس ، ومحراثنا سكة جدنا قابيل ،وسلاحنا سيف ابن معدي كرب الخ .

واذا اردنا ان نعالج تاريخنا علاجاً مفيداً ، وان نبحثه بحثاً عقلياً منتجاً فلا بد من تغيير تقسيمه ، تغيراً يجعله تاريخ امة لا تاريخ افراد ، ونحن لا نفصل في البحث التاريخي بين جـاهلية واسلام ، وبين عمر وعثمان ، وبين امين ومأمون بل نميز بين عهد كانت فيه الامة في حال ، وعهد انتقلت بـه الى حال ، ونفرق بين القبلية والقومية ، والعرب والفرس والاتراك ، ونعمل مبضع العقل في مؤثرات تتلاعب بالامم تلاعب رياح الخريف بـأوراق الشجر ، وتداعب الافراد مداعبة النسيم للافنان .

ونحن نرى ان التاريخ العربي مر في اطوار وادوار وعهود (١)عهد النزاع بين القبائل في الشمال (٢)عهد الثقة بالنفس والاطلاع على القوى الكامنة في العرب او ميل القبائل الى الاتحاد بعد يوم الفيل والكلاب وذي قار (٣)عهد النزاع بين القديم والجديد ويبتدىء قبيل الاسلام وينتهي بفتح مكة (٤)عهد الانتقـاض والانتفاض ، عهد انتفضت به الرجعية قبل موتها ، وانتقض فيه انصار التقسيم قبل هزيمتهم وينتهي في وسط خلافة ابي بكر (٥) عهد الفتح وينتهي في اواخر خلافة عمر (٦)عهد الانقسام والخلاف على الغنيمة والملك وما رافقها من بعث طراز قبلي جديد وينتهي في اوائل خلافة علي (٧)عهد الخلاف بين القبلية والقومية وبين الانسانية والتمسك بتعاليم الكتـاب وينتهي في اواخر خلافة معاوية (٨) عهد انتصار القومية العربية وينتي في خلافة عمر بن عبد العزيز (٩) عهد انقسام العرب واتحاد الفرس ونهوضهم بانتهاء خلافة السفاح (١٠) عهد النزاع بين العرب والفرس وينتهي بقتل الامين ويتلو ذلك عهود نازع الاتراك فيها الفرس وانقسمت الامة الى دويلات كان للقومية فيها الاثر الاقوى،وظلت القومية العربية ضعيفة تجاهد حتى بعثت قوية فياضة بعد الحرب العالمية الاولى :

وليس في قدرتنا ان نكتب تاريخاً جديداً كاملاً على هذا النحو من البحث ولكننا سنعالج بعض الحوادث التي نعتقد ان القديم من البحث قد اساء فيها الى الافراد ، وغلا في رفع افراد كعلي والامين من الاولين ومعاوية والمأمون من الآخرين :

حنا نمر

يا من ..

☆

يا من جعلتُ هدابَ العين مسكنه   لم آت بالظنّ امراً أنتَ تخشاهُ
ملكتَ أجمل احلامٍ تساورني   وكنتَ للشاعر الحيران «نشواه»
يظلُّ عهدُكَ عندي ابيضاً لدناً   ولو بدت سحبٌ دكناء تغشاه
مهما يدلّ ويقسو من اعاتبه   اظلّ افرشُ بالريحان ممشاه



يا ورد

☆

يا وردُ شوكك أقسى   مما اراه بدالك
يكادُ ينسع ظني   عن الشرودِ خلالك
يا أطيبَ الزهر عرفاً   أحب حتى دلالك
فليس آثر عندي   من أن أظلّ حيالك
فهل يسيئك مني   أني عبدتُ خيالك
وهل بذلك أمرٌ   يا حلو يشغل بالك
وما شممتك يوماً   ولا سألت وصالك
إن كنتَ اجملَ حلمٍ   عندي فيا ورد مالك

حلمي معلوف



صفحة من حياة كبار الفنانين

بقلم حميم شريف

شوبرت
العبقري الخالد

☆

واليوم احدثك – قارئي العزيز – عن عظيم آخر من أولئك العباقرة الذين ذاقوا مرارة الحياة وشربوا كؤوس بؤسها وشقائها وحلمت قلوبهم واعينهم بالأمل والرجاء.

هؤلاء المنسيون الذين حلقوا بالمجد فسما بهم ووثبوا الى السعادة فهووا من حالقها.

فرانز شوبرت، خبت ذكراه بعد موته بوقت قصير ولبث مجهولاً فيما بعد رغم ذيوع الحانه في عصره وما بعده... حتى اذا اندثر الجيل القديم او اوشك هب الجيل الناشىء الجديد يعيد صفحة حياة شوبرت المطوية الى الاذهان ليخلده محتفلاً بذكرى وفاته سنوياً.

ولد «فرانز شوبرت» في فينا عاصمة النمسا في ٣١ كانون الثاني سنة ١٧٩٧ من اسرة تنتمي الى الطبقة الشعبية، وكان شوبرت الاب موسيقياً فقيراً ومدرساً بسيطاً ادرك بثاقب بصره ان الثروة الكبيرة التي تفيد ابناءه هي التهذيب والتعليم، فعمد الى تنمية هاتين الناحيتين في اخلاق اولاده.

ترعرع فرانز ونشأ في منزل لا يسمع فيه الا صوت الكمان الذي يعزف به والده والبيان الذي يوقع عليه اخوه الاكبر. وظهرت مواهبه الفنية منذ نعومة اظافره فأقبل على الموسيقى يشبع نهمه منها، فعلمه ابوه العزف على الكمان وما كاد يتقنه حتى علمه أخوه الاكبر الضرب على البيان، وبدت عبقريته الكامنة لأسرته فعهدت به الى موسيقي بسيط يدعى «ميخائيل هولزر» ولكنه لم يستفد منه كثيراً فانصرف عنه، وتفتحت ميوله الموسيقية فصار يملأ المنزل غناء وعزفاً والشارع مرحاً وشدواً. ولم يكن

شكله بالذي يسر او بالذي يزعج ولكنه كان جذاباً تركن اليه النفس وتشعر بالطمأنينة اليه حين ينظر اليك من خلف نظارتيه.

وفي سنة ١٨٠٩ قدّم شوبرت فحصاً غنائياً للمدرسة التي تمرن جوقة المرتلين في الكنائس، فكان الفائز الاول بين اقرانه ممن تقدموا معه وكان قد بلغ في ذاك الوقت الثانية بعد العاشرة من عمره. وفي السنوات التي قضاها في هذه المدرسة توطدت اواصر الصداقة بينه وبين نفر من التلاميذ وكان اشدهم اخلاصاً له في صداقته زميله «سبون». وفي سنة ١٨١١ استطاع شوبرت بالمال الذي قدمه له هذا ان يضع مؤلفاً موسيقياً — اي قطعة موسيقية واحدة — في خمس وثلاثين صفحة أذهل به تلاميذ المدرسة واساتذتها جميعاً، وحين بلغ في سنة ١٨١٣ السادسة عشرة من عمره اصيب بمرض في حلقه افقده صوته الغنائي فاضطر الى ان يترك المدرسة وبقي دون عمل حتى قدر له ان يشتغل مدرساً فكان يعلم نهاراً ويدرس الموسيقى ليلاً على يد الموسيقي المشهور «ساليري» الذي لقن «بيتهوفن» فن «السوناتا». ولم يمتد تعلم شوبرت على يد «ساليري». اذ سرعان ما أبدى هذا الاخير عجزه عن تدريسه لكثرة المام شوبرت الواسع.

وفي أحد الايام زاره صديقه «سبون» فوجده منهمكاً في تلحين اناشيد «الاراكنج» للشاعر العظيم «جوته» التي تعد من اقوى الالحان نغماً. ومع كثرة عددها فقد انهاها شوبرت في ساعة واحدة وقال «جوته» حين استمع اليها فيما بعد: «لو كانت الموسيقى اداة تفكيري لنظمت هذه الاناشيد كما لحنها شوبرت».

وكان الالهام الينبوع الذي يستقي منه شوبرت الحانه وسرعته في التلحين فقد استطاع ان يكتب ثمانية الحان في ليلة اليوم الخامس عشر من تشرين الاول وسبعة اخرى في ليلة اليوم التاسع عشر من الشهر نفسه وكان قد بلغ وقتئذ الثامنة عشرة من عمره.

ومما يؤثر عن سرعته في وضع الموسيقى انه ذهب مرة تلبية لدعوة اصدقائه للاستماع الى الاوبرا الاخيرة التي وضعها «روسيني» والمسماة بـ «Barbier-De-Seville» اي «حلاق اشبيلية».

وبعد انتهاء الاوبرا سئل عن رأيه فيها فقال: ان فيها كثيراً من الموسيقى السحرية الطليقة ولكن الذي لا أدريه فهو لماذا وضع «روسيني» في «الافتتاحية» «Ouverture» موسيقى منحطة متزلفة. وتوقف عن المسير وقال وهو ينظر الى اصدقائه نظرة المعتد بنفسه: سأكتب حينما نصل جميعاً لدارك يا «سبون» «افتتاحية» اقوى واضخم من هذه بجلسة واحدة. وما استوى بهم المقام في منزل «سبون» حتى طلب شوبرت ورقاً وقلماً وبرّ بوعده لاصدقائه بكتابة الافتتاحية فأنهاها بنصف ساعة، ولا يخفى على القارىء المطلع ان وضع «الافتتاحية» يستمر احياناً بضعة اشهر وقد أنهاها شوبرت الذي كان عمره مقدار ثلث عمر «روسيني» الايطالي بنصف ساعة فقط.

وطرد «شوبرت» من المدرسة التي يتعلم بها لانه جعل من درس الحساب درساً موسيقياً بعد تحذيره للمرة الثالثة. فالتجأ الى اصدقائه المخلصين واستطاع «سبون» بالاتفاق مع زميله «فون شوبر» وهو شاب ثري وصديق حميم لشوبرت اقناع شوبرت بسكنى دار هذا الاخير كي ينصرف الى التأليف الموسيقي وحده، فقبل معونتهما شاكراً.

المرأة في حياته

وصلت حياة شوبرت الى هذا الحد ولكن هل كانت خالية من المرأة والهامها؟؟. كلا! فقد لعبت المرأة في حياة شوبرت دوراً هاماً فكانت حياته سلسلة من الحب المتبادل انتهت بموته، وقصته «الملحمة التي لم تتم» «Symphonie ina-chevée» هي قصة حبه الخالد وتضحيته التي اقدم عليها راضياً.

كان شوبرت دائم التردد على مخزن «الرهونات» تارة لرهن ساعته ومرة لرهن كمانه، واخرى لاسترداد معطفه. وقد ولّدت هذه الزيارات المتكررة بينه وبين «ايبي» ابنة صاحبة المخزن صداقة قوية الروابط انقلبت في سنة ١٨٢٠ الى حب عميق ملك قلبيهما معاً.

وكانت «ايبي» تعلم ما يعاني شوبرت من شظف العيش والفقر المدقع فسعت لدى أحد اصدقائها فهيأ لشوبرت وظيفة مدرس موسيقى في قصر احد الاشراف في مقاطعة «هنغاري». وكانت مهمة شوبرت تنحصر في تعليم ابنة ذلك الكونت الشريف، الغناء، والضرب على البيان.

وهكذا اصبح شوبرت مدرساً في قصر هذا النبيل واخذ يعلم ابنته الحسناء «كارولين» الغناء، والتوقيع. وما مرّ طويل وقت حتى شعر بانه يعشقها عشقاً يقرب من العبادة، نسي به «ايبي» وعطفها عليه ورعايتها له، عشقاً مجنوناً جاء نتيجة حب عنيف من «كارولين» حطمت به الفوارق الاجتماعية التي تفصلهما الواحد عن الآخر.

وغدت تتنزه دوماً بصحبته، وتذهب معه الى الحفلات والمجتمعات العامة والخاصة، وباتت لا تطيق فراقه، فكان يقضي الساعات الطوال بجانبها وشطراً من الليل في شرفتها جالساً تحت قدميها تصغي اليه يتحدث عن هيامه بها وعن شعور الموسيقي وغرامه..

ولا يتركها عند الفجر الا بعد عناق طويل، عناق حب خجول لم تفسده قبلة ماضية. وكثر التحدث عنها بين سكان هذا الريف الهادىء، وصيغت القصص المختلطة بشتى الافكار القصصية

الساذجة ونعتها القوم بأقذع الصفات ووصفها آخرون باعتدال وهما عن كل هذا غارقان في نشوة من الحب لا يدريان ما تخبئه لهما الاقدار من المحن والكوارث القاصمة التي تربصت لهما ثم انقضت عليهما فجأة فهدمت الشخصين، وحطمت القلبين، وأتعست العاشقين.

رحل شوبرت عائداً الى «فينا» دون ان يحظى بوداع «كارولين» الوداع الاخير. لقد طلب منه والدها الكونت العودة الى «فينا» والرحيل بأقصى سرعة ممكنة. ولقد صرفه بالحسنى واجزل له العطاء، وحذره الا يعلم ابنته بسفره المفاجىء لئلا يزعجها بخبر رحيله الابدي. وعاد الى «فينا» يبكي حبه الضائع، وامله المفقود، ويحلم بالماضي السحيق السعيد الذي فقده ويمني نفسه بالعودة اليه يوماً.

وذهب الى «ابي» يقص عليها كل شيء. فتحملت الكارثة بصبر جميل وهدوء عجيب، وانقلب حبها له عطفاً عليه تساعده في محنته القاسية التي يجابهها. وهدته الصدمة الثانية التي اتته في هيئة رسالة وردت اليه من «هنغاري» من شقيقة «كارولين» تعلمه فيها بقرب زفاف اختها وتدعوه للحضور ليقدم التهاني للعروسين كما تقضي بذلك العادات والتقاليد.

ورجع شوبرت الى «هنغاري» مرة ثانية ليشاهد ضريح قلبه بعينيه، وليضع عليه الازهار والورود بيديه. فكان كالمذهول الذي افقدته المفاجأة قوة التفكير. نظر اليها ملياً ونظرت اليه كثيراً، فقرأ في عينيها الاسى، ورأت في عينيه الشقاء. وجلس صامتاً في ركن منزو تساور افكاره أطياف غرامه المنصرم الزائل لتزيده يأساً ولتوصد الباب امام التفريج عن كربه.

واستيقظ من اطراقه الحالم حين اقترب منه الكونت وطلب اليه ان يعزف قليلاً بعد ان يهنىء العروسين. فنهض متثاقلاً واقترب من المعزف ووقف بجواره ينظر الى الجمع المحتفل الذي ران عليه الصمت وقد شخصت ابصار المحتفلين اليه، واذا به يصيح فجأة بصوت جهوري حاول ان يجعله ثابتاً وقال: اني أتمنى لتلميذتي كارولين السعادة الكاملة في ظل حياتها الزوجية الجديدة واني اهنىء زوجها بها متمنيا لهما حياة طيبة ... ولم يلبث ان ارتج عليه وخنقت صوته عبراته فلم يدر ماذا يقول ثم استدار نحو المعزف جالسا على مقعده، يصهر افكاره فلا تنجده الا بالذكرى الجميلة والاحلام العذبة. واخذ يعزف لحنا جامداً لا حياة فيه، لحناً حزناً كئيباً ترهبه النفس وتنفر منه الاسماع في الافراح وتوقف برهة ونظر الى البيان طويلاً ثم انهال عليه ضرباً بيديه الاثنتين، ضرباً متواصلاً كما لو كان يثبت بيده مسامير نعشه. ولم تلبث الحياة ان دبت في اصابعه وجسمه فانتصب حين رأى وجه العروس الشاحب تزيد روعته ثياب العرس البيضاء التي كست جسدها الناحل، ولم يأبه لنظرات الفضوليين من المدعوين تنهال عليه وهو يحدق في وجهها الجامد المعبر عما في قلبها من اسى ولوعة. وما كادت تختفي عن ناظره، حتى انسابت انامله ترنم لحن «الملحنة التي لم تتم» الذي كان قد قدمه لها هدية رمزاً لحبه وعهداً باخلاصه في صداقته.

وأتم الحركات الثلاث من المعزوفة وحين بدأ في مدخل الحركة الرابعة والحفل جميعه يصغي اليه بانتباه انقطع عن العزف فجأة. وهب واقفاً وانهال على اوراق لحنه يمزق فيها تمزيقاً ثم التفت الى الجمع وصاح به «تنحوا عن طريقي... ان حبي سيبقى في قلبي فقط ولن تستطيعوا فهمي... تنحوا... افسحوا لي الطريق...» واندفع بينهم يشق طريقه نحو الباب بين ذهولهم ولغطهم حتى ان بعض المدعوين ظنه معتوهاً او فناناً به مس من الجنون

مقابلته مع «بيتهوفن»

وكما كان للمرأة اثرها في حياة فناننا المبدع كان للموسيقار الاشهر بيتهوفن اثره في نفسه.

كان شوبرت يعتقد ان آله الموسيقى خلق في شخص «بيتهوفن» فكان لذلك يجله ويحترمه ويستمع لموسيقاه ويحلم ان يجتمع به يوماً. وكان يعتقد اعتقاداً راسخاً في قرارة نفسه ان الاجتماع بآله الموسيقى، ضرب من ضروب المستحيل، لا يحظى به من كان على شاكلته فقيراً من الالحان الرائعة التي يعجب بها «بيتهوفن» وكان «بيتهوفن» يقطن «فينا» اثناء حياة شوبرت وكان هو الآخر معجباً بشوبرت وتواقاً لمجلس يضمهما معاً في وقت من الاوقات.

وحين علم «شندلر» صديق «بيتهوفن وشوبرت» ومؤرخ حياة بيتهوفن بعد وفاته — برغبة الاثنين بالاجتماع سهل مجلساً يجمعهما وكان هذا المجلس لقاء تاريخياً. واجتمع العظيمان، وكان الحديث صعباً مع بيتهوفن لصممه فدار الحديث بينهما كتابة وكان ذلك في أواخر سنة ١٨٢٦. وتكررت الزيارات بينهما وتوطدت صداقتهما وكانت علاقتهما كعلاقة الاب مع ابنه وزار شوبرت صديقه فيما بعد مرتين وهو على فراش الموت وفي المرة الاخيرة كان بيتهوفن يحتضر فوقف شوبرت بجانب فراشه واجماً من شدة حزنه ثم نظر نظرة اخيرة الى جسد العظيم الهامد وخرج وعيناه تقطران بالدموع والدنيا مظلمة في وجهه.

ومشى شوبرت في جنازة «ربه» حاملاً تابوته بنفسه حتى مدفنه وقد لبث واقفاً امام القبر طويلاً ومن ثم خرج من المقبرة مسرعاً لا يلوي على شيء. وهو يبكي بكاء صامتاً مراً.

وبعد مضي يومين اجتمع شوبرت بصديقه « شندلر » في احدى الحانات وشربا معاً نخب الراحل العظيم ، ثم رفع كأسه وقرعه بكأس صديقه وقال « هذا نخب الذي سيتبعه منا أولاً » وافرغ الكأس في فمه . وكأنه كان ينعي نفسه بهذا لانه سلم روحه للخلود في السنة التالية .

وفاة شوبرت

الاحتفال بمرور ١١٩ سنة على وفاته

اصيب شوبرت في منتصف كانون الثاني سنة ١٨٢٨ بحمى شديدة اوردته مورد التهلكة هي حمى « التيفوس » وقد لبث شوبرت يعاني طيلة مرضه ، الجوع ، والمرض ، والعوز ، فلا كساء يقيه برد الشتاء القارس ولا وقود يدفىء جو غرفته الحقيرة ، ولا طبيب يعوده . ولا صديق يزوره اللهم الا «سبون» زميل الطفولة وصديقته الحميمة «ايمي» التي احبها فيما مضى . وكان يعوده بعض اهله احياناً يحملون له قليلاً من الحطب والطعام دون الطبيب والعلاج .

وكانت صديقته «ايمي» لا تفارقه ابداً تنظف له الدار وتعتني به الاعتناء التام . وكان في هذيانه يردد اسم « كارولين »دوماً . وفي يوم ١٩ شباط سنة ١٨٢٨ نادى شوبرت صديقيه « سبون » و « ايمي » وطلب منهما بالحاح ان ينشدا له لحنه الكنائسي الخالد « أفي ماريا» « Ave Marie » فأنشداه له واغرورقت عيناه بالدموع وعاد بالخيال الى الماضي البعيد وتتابعت الذكريات لا تفارقه صورها وصرخ فجأة « كارولين» « كارولين » بصوت عالٍ سمعه كل من كان في المنزل . ونهض من فراشه رغم مرضه نحو الباب وهو يصيح : اين انت . . اني اريدك لا تتركيني . . انا لم اتخل عنك « كارولين كارولين ». وانتابته رعدة شديدة فسقط على الارض مغشياً عليه .

وفي ظهيرة اليوم نفسه وعلى اثر هذه النوبة الشديدة التي انتابته فاضت روحه الى بارئها على ايدي اهله ، وجيرانه وصديقيه .

قال فيه « بيتهوفن » قبل ان يعرفه « ان شوبرت قبس من الشعلة الآلهية » وقال فيه فرانز ليزت : «ان شوبرت شاعر موسيقي في موسيقاه وحي الشاعر وفي اغانيه روح الشاعر» وقال فيه «شومان» الموسيقي المشهور : « يستطيع شوبرت ان ينطق فأساً بالحانه وموسيقى شوبرت كالشعر العاطفي الرائع بالنسبة للنثر البليغ الرزين اذا ما قيست بموسيقى سائر الفنانين » . ولكنه الى جانب ذلك مات فقيراً معدماً ، لم يحفل بشهرة كان باستطاعته الوصول اليها . ولم يهتم بسعادته قبل سعادة الآخرين الذين احبهم . لقد ضحى بحبه ولبث معذباً حتى وفاته بذكرياته وآلامه . لقد حاول جاهداً ان ينسى الناس حبه ولكن هذا العالم المطبوع على الفضول والجحود معالم ينصفه ابداً

لقد مات شوبرت غنياً بالعاطفة المتأججة . . . والشعور الثائر والقلب العاشق المحطم . . رحل منسياً . . منبوذاً . . ولكن الامل كان يغذي نفسه وفؤاده ولم يلبث في النهاية ان صرعه . لقد قتله تفكيره . . تفكيره الدائم بماضيه الحافل بالعذاب والقسوة .

ومشى في جنازة «بيتهوفن» ثلاثون الفاً من المعجبين به والمقدسين لفنه وحين مات « فريدريك شوبان » اتشحت باريز بالسواد حداداً عليه بعد ان اغلقت متاجرها وعطلت اعمالها .

اما شوبرت ، ذلك النغم التائه ، فقد ذهب الى القبر لا يحف به الا نفر قليل من اهله واصدقائه . . ولكنهم كانوا رغم قلة عددهم اكثر من الاصدقاء الذين ساروا خلف نعش « موتزارت » ذهب الى القبر ولم يترك شيئاً من عرض الدنيا يورثه لورثته لانه كان لا يبغي الخلود . ولقد بيع اثاث بيته الحقير بل حطام غرفته فلم يف الا جزءاً ضئيلا من دينه الكبير . اما مجموعة قطعه الموسيقية العظيمة فقد بيعت كلها بما فيها « الملحنة التي لم تتم » بأربعين قرشاً .

ألف شوبرت في حياته القصيرة هذه جميع الانواع الموسيقية المرغوبة في عصره ولكنه اشتهر بألحان «الليدر» دون سائر الانواع الاخرى وله منها خمسمائة لحن وأشهرها « السيريناد » المعروفة باسمه كما ان له ألحاناً كنائسية رائعة اشهرها «انشدك الرحمة يا مريم العذراء» « Ave Marie » كما ان له كثيراً من « السوناتا » و «الكونتشرتو» والاناشيد . وأشهر الاناشيد التي لحنها اناشيد « الارلكنج » للشاعر « جوته » وله ايضاً ثماني « ملاحن » « Symphonies » واشهرها الاخيرة المعروفة «بالملحنة التي لم تتم» وهي التي اعجب بها «بيتهوفن» .

مات شوبرت وهو في ربيع حياته شاباً يافعاً وعمره ثلاثون سنة وشهراً واحداً وعلى ذلك فهو اصغر موسيقيي العالم سناً .

وفي التاسع عشر من شهر شباط الماضي احتفلت امهات العواصم في اوروبا وامريكا بذكرى ١١٩ سنة على وفاة العبقري المجهول « فرانز شوبرت » فالقيت الخطب في المعاهد الموسيقية العالية بهذه المناسبة . واحتفل بازاحة الستار عن قبره الذي وضعت عليه آلاف الاكاليل المرسلة اليه من انحاد العالم الغربي .

ولم تتغن مدارج الاوبرا والفرق الكلاسيكية في ذلك اليوم الا بقطعه لتطلع الناس في هذه الارض على النابغة المجهول الذي ذهب الى القبر تعساً فانبعثت روحه من القبر لتحلق في الاجواء مع الحانه « الرومانتيكية » الرائعة الطليقة .

دمشق — صبحي شريف

اغنية الحروف الخمسة

بقلم صلاح الاسير

رأى صاحبي امس ، وهو يحلم ، ان غمامة بيضاء ، جنحتها الرياح ، تحمله في الطريق الى حيث لايعلم ، فتشق به ظلمات المجهول ، وتضرب بجناحيها النجوم ، المتواثبة الولهى ، فكأنه على بساط الريح ، في رحلته الابدية ، وتنتقل به الغمامة في ربوع الغيب ، حيث الفراغ جوع الى المعرفة ، والاطياف مشاريع عوالم مقبلة ، وذرات الرياح نواة احداث لم تخلق بعد ، فيقلب صاحبي عينيه ، وهو مأخوذ بما يرى ، فكأن هذا الحلم الكريم الموطأ ، اختاره دون الناس جميعاً ليشهد الرؤيا الخالدة من ازل الآزال الى ابد الآباد في فصولها المتعاقبة التي لا تنتهي ابداً . . . وتهبط به الغمامة خميلة خضراء نبت على جوانبها ورد عجيب لا شوك له ، عبيره يسكب في كؤوس من نور ، والى جانبه جواري الاحلام في ابرارهن السحرية الحمراء ، وما وراء جدار البراعم التي لم تتفتح بعد ، تضج العطور الطفلة ، فكأنها تستعجل ساعة مولدها لتشهد مواكب المعلوم بعد ان تمخض بها المجهول طويلاً . . . وطاب للغمامة ولصاحبي ان يظلا حيث هما من هذا الحلم ، بين عبير يفوح وعبير يضج في البراعم ، والورود العجيبة البيضاء تتايل على اغصانها تحت تأثير لحن خفي يجعلها في جو الحركة الدائمة . والجواري الحسان في حيرة النجوى يتلفتن صوب الغمامة وصوب هذا الزائر في اغراء لا ترقى اليه الشهوة ، وهو يحدق فيهن وفيما عسى ان يكون من امرهن بعد ان اسكرهن العبير في طوافه الراقص ، حوالي كؤوس النور . . .

ويتلفت صاحبي بعد اعوام عاشها على كف الغمامة ، بعد اعوام اختصرها الحلم في دقائق ، ليشهد عودته الى عالمه على جنبات التراب ، هذه العودة التي ما ارادها قط ، بعد ان جاور الغيب والمجهول والورود العجيبة ، عاد صاحبي ليحقق على وجه هذه الارض بعض الحلم الذي رآه ، وحزم لذلك العاطفة والحب وطفق يجوب خمائل الورود ، ولكنه لم يجد وردة لا اشواك لها ، الى ان وجد واحدة تهزأ بالاشواك ، فقر رأيه على جعلها عروس الحلم ، فجاءها بالجواري الحسان من بنات الفكر وطرائف الخيال ودماء الحب العميق وجراحات الصبابات ، واقام وحده من حولها سوراً لا تستطيع اختراقه الظنون ، ولا ترقى اليه الاوهام ، بعد انقضاء شهور على حب خفق به قلبه ، ولم يكن يعنيه كثيراً ان يخفق قلبها هي ، فالحب عنده عمل قد يستأثر به الكائن الواحد للكائن الثاني ، ولو لم يكن عند الكائن الثاني طبيعة قبول حب من طراز علوي ، ويمضي به الزمن ، وهو ابداً يفكر في تحقيق الحلم ، ويظل كذلك الى ان استروح بعد انتظار طويل عبير الموعد على غير انتظار ، فتمتمت شفتاه باسمها دون ان تسمع . . . وتمتمت شفتاها باسمه فسمع . . . اي ايقاع واي اغنية في اسمه عندما يجري على لسانها حلواً عذباً . . . ويتغلغل صدى صوتها في الضلوع دفأ وطمأنينة ، ويكفيه هذا منها ، ففي الوهم فحسب ، تلين الاشواك ، وتظهر الوردة التي لا اشواك لها ، هكذا رأى في خمائل حلمه العجيب ! . .

وينطلق من حلمه ليشهد بعينيه في الواقع لا في الخيال اعجوبة الحلم التي جاءت صدفة ، فنهل انفاسها في الحديث ، ورأى في سمرتها سحر الحسن ، وفي عينيها اغوار الليالي ، وعلى ثغرها افترار الوردة الحمراء عندما ينشق عنها البرعم الوليد ، فكان اسمها سمره في اكثر من ليلة ، بل اصبح سمره كل ليلة ، وهو من اقدر الناس على التخيل ، ففي وسعه ان يحس انها معه ابداً . . . ولو باعدت بينهما الاحداث ، ولقد رأيت صاحبي منذ يومين يجلس وحيداً وامامه كأسان مترعتان فسألته عن صاحب الكأس الثانية فقال لي . . . انك لن تراها . . . انها معي الساعة وهذه كأسها . . . انا وحدي احس انها معي عندما اريد . . . عجبت لهذا المنطق . . . ما اوسع خيال صاحبي . . . انها معه وليست معه . . . ولكنه على كل حال سعيد بحاله ، يستطيع وهو وحيد ان يخلق لنفسه في اية ساعة اراد حلماً ينقله على كف غمامة بيضاء الى الجنات المحجوبة .

وفي منطقه ان الناس عرفوا كل شيء واحاطوا بكل شيء الا فيما يجاور القلب من اجواء وعواطف ونداآت واشواق ، فهو

يستبيح الهزء بكل الحقائق التي تحيط به ولكنه يجدّ ويأخذه كل اهتمام في شؤون قلبه وعاطفته، فما ينبغي عنده العبث في شؤون الهوى الابريز والحنين المتصل، فالحب عنده برعم ينتظر ساعة مولده لينمو ويترعرع ويعطر الاجواء، ويظل حديث الخمائل والورود والنجوم والليل والكؤوس، لا حديث الناس ..

وهو يعلم على التأكيد ان عروس حلمه لا تستطيع ان تغرق معه في الاعماق البعيدة لتشهد الحلم المتصل، حيث يجاور الشوك الورد دون ان يخدّشه في عناقهما الجميل، ولكن ما له ولها، أليس يكفيه انه وجدها، ووجدها هي بالذات .. هي مفتاح الحلم، والسبيل الطروب لتحقيق رغبته بالسعادة، ماذا عليه اذا ظلت كسائر الناس، تتعبها النقلة من واقع الى واقع، ومن خطرة الى خطرة، ومن موعد الى موعد ! ..

ولصاحبي سمر دائم مع اسمها يقلب حروفه الخمسة على غنائه مذ كان لقاء، ومذ كان بوح صامت، ومذ تلاقت العيون على توهج شعلة لا يعلو لهيبها رماد الايام، وقد تسير هي في طريق غير طريقه في المستقبل، ان هذا كثير الوقوع في حياة الناس على جنبات هذا التراب الدنيء، ولكنها ستظل معه في الاعالي، سترافقه الى حيث يشاء، فوجهها سيظل اللوحة القدسية التي تحمل اعمق سطور الحب المفاجيء الباقي، فهذه الاسارير لن يطويها من وجوده شيء، فهي باقية ما بقي الحرف، خالدة ما دارت الارض، مخضلة ما نبتت البراعم ! ..

وحسب صاحبي السمر، السمرُ المغني، الذي يطلع به غناؤه، في اغنيته الدائمة، اغنية الحروف الخمسة ! ..

صلاح الاسير

ساعة النعيم

للشاعر بيرون

☆

عندما

جنحت الشمس في موكب الاصيل بقرصها الاحمر !
لتهبط خلف الامواج المزركشة ... ظهرت وكأنها تربط
الارض في جذع الطبيعة ! !
وفي الافق البعيد سفوح وجبال ... وعلى سمت الجبال رذاذ وضباب ..
من بحر الاعماق وفي السماء المتوردّة ... بزغ نجم دريّ وتألق كالعين !
وعلى الشاطىء حبيبان يجولان ويداهما مشتبكتان!
فوق الصدف والزبد .. على الرمل والحصى ومن صخرة الى اخرى !
ثم أخلدا للسكينة ! فتأبطا .. وراحا يرقبان المغيب في صمت عميق !
نظرا الى السماء وردةً مثل الدّهان!
وحملقا في البحر .. لجة مثل اللجين !
نظرا الى الشرق .. فرأيا طلعة البدر العريض !
مهما الأمواج تتكسر .. والنسيم يتثنى !
نظر كل في عيني صاحبه .. واذ رآها تنفث الشرر
اقتربت الشفاه .. وراحا في قبلةٍ مدويّة !
قبلةٌ طويلةٌ جداً ... قبلة الشباب والحب والجمال — راحت تدمدم
باتونها في طلقات غرامية حارّة !
في عصر الشباب يتحد القلب مع العاطفة والحب مع الخيال !
والدّمُ الفائر .. والنبضُ الثائر
يجعلان من القبلة زلزلة !!
ومن الحلقة سلسلة ! !
أسرابُ القبل كأسراب النحل !
هذه تمتص الأريَ من الازهار !
وتلك تعبّ الرحيق من القلوب !

المسمية — فلسطين

عبد المنعم العالم

من حديث المصح

هذه حلقة من سلسلة الرسائل التي ينشئها الكاتب ويتحدث فيها عن ادق مظاهر حياته وتأثراته النفسية في احد المصحات

بقلم علي الزبيدي

☆

١ – اخي الاستاذ الفاضل ..

تحية .. الوائق المكبر وعاطفة المخلص المشتاق ، وبعد فكم وددت ان اوثر غيرك من الاصفياء بهذه الرسالة الصاخبة وان القاك بغير هذا الجو العابس والصوت الخافت واللهجة الضارعة ، ولكن أبى لي فرط الجزع والاشفاق مما شاهدت وأحسست ثم فرط الثقة والاطمئنان الى نبل عواطفك ومرونة طبعك ، في توجيه كلامي على وجهه الصحيح البعيد عن كل ما يمس الكرامة ويغمز الاباء الا ان استرسل مع الصدف والمناسبات وانزل على حكم القائلين :

ولا بد من شكوى الى ذي مروءة … يواسيك او يسليك او يتوجع

اخي انني ما برحت مذ دخلت المصح ابتعد ما امكن البعد عن التعرف على المرضى والبائسين : وخاصة اذا كانوا في حال يأس ، لانني وان بالغت في السخر من كوارث الدهر تنزل بي وتحديت نكباته بقول القائل :

ان كان عندك يا زمان بقية … مما تضيم به الكرام فهاتها

فما زلت اضعف وتضطرب اعصابي للمنظر الشجي والخبر الممض والمصيبة الفادحة تحيق بغيري من الناس ، ولكن الصدف شاءت لي في هذا العيد السعيد – بغير بخس – ان اذهب لمعايدة بعض اصدقائي الذين انتقلوا الى حيث يقيم الفتى البائس النجيب حسن عواض : من حاضرة الجنوب النبطية : وشاء لي دافع المروءة ! وادب اللياقة ؟ ان اتعرف اليه وان اجلس عند سريره اواسيه واستقرى خبره واتفقد احواله الصحية وازماته النفسية والاقتصادية

فاذا بي امام طائر بهيج قد هيض جناحه ، ووردة فواحة الشذى لم تتفتق اكمامها للحياة والنور حتى اجتاحتها عواصف البؤس والشقاء وألقتها في قبضة الداء الوبيل تضرع وتضطرب وتتلاشى بين آلام مبرحة وحرارة مضنية ، وبحة خانقة تضيق لها الحنجرة ويخفت الصوت الحنون ، ذلك الى وحشة الغربة ومرارة الفاقة وذل الالتجاء وغصة القنوط ، الى ضغط المناسبات والذكريات على الاحساس المرهف والفكر العنيد من فتى في مقتبل العمر تتطاير نفسه حسرات كلما أهل عيد من الاعياد بافراحه ومباهجه ، او شاع خبر من الاخبار عن موطن احبابه وخلانه او اقبل زائر من الزوار يتفقد احوال جيرانه وزملائه من المرضى ويختصهم بالعطف والحنان ، وكلما تلفت الى ماضيه وذكر اقرانه في المدرسة واخدانه في ملاعب الحي ، ومنافسيه في معترك الحياة كيف دارت به وبهم الايام ، فمشوا قدماً نحو اهدافهم البعيدة وقعد عجزاً لايهفو باخيلته وامانيه الى شيء غير الصحة والعافية او الخلاص من دنيا البؤس والألم ؟

واذا بي ازاء مشهد مريع مفجع وجو قاتم مكفهر يزعزع النفس لوعةً واسى ، ويفطر القلب رحمة وحناناً ، ويلهب البيان نقمةً وسخطاً على هؤلاء المحسنين الذين لا يعرفون سبيلاً للبر والاحسان والخير غير هذه السبيل التي الفوها في التزلف الى المستبدين او الدجالين او المشعوذين من حكامنا وساستنا من غير ما سؤال عن فائدة هؤلاء السادة في بلادهم ، وعن اثر اولئك الاقطاب في امتهم ، او عما حققوه لها من المشاريع الحيوية النافعة التي تسدد خطانا في محاربة الآفات والاوبئة الفتاكة ، كالجهل ، والفقر ، والمرض ، والاستعباد وتمكننا من توجيه حياتنا الاجتماعية والسياسية نحو هدف انساني نبيل يصون مستقبلنا من التدهور الاخلاقي والسياسي والاقتصادي .

اما مثل هذه الضحية من ضحايا النواميس الجائرة والاوضاع القاسية التي حرمته من اسباب الراحة والدعة والاطمئنان ، ودفعته قسراً عن مقاعد الدرس الى جو خانق من اجواء المصانع والمعامل أنهك قواه ، واذاب جسمه ، واثخن صدره ثم قذف به الى مباضع الاطباء وايدي الممرضات وملاجىء المنكوبين بصحتهم وراحتهم وآمالهم ، وتركه صريعاً يئن من ألم الجراح ، جراح القطيعة ، وجراح الداء ، وجراح التفكير في سوء العاقبة وهول المصير .

اما مثل هذه الضحية فليس له من عطفهم واهتمامهم ما يجبر قلبه الكسير ، ويمسح جرحه الدامي ، او يلطف جوه المثقل بالهموم وينعش فيه بعض الامل والرجاء ' ذلك بان النزعات الشخصية والاغراض الحزبية والتقاليد الموروثة لم تحدد قيمة هذا النوع من العطف والحنان ، ولم تنبه الى اثره في كسب الحظوة والشهرة والجاه ؟ ؟

***

هذه صورة من صور العيد في مصح بجنس ، وهي كثيرة متنوعة تتفاوت وتختلف ثم تنتهي الى نقطة واحدة من البؤس والالم والقنوط ، فتصور حال اخيك ازاءها ، ثم سلني كيف انت ؟ وما عسى ان اكون غير زفرة في إثر زفرة ثم نقمة في إثر نقمة او لعنة تتبعها لعنات ؟ ؟

غفرانك اللهم ؟ ألهذه المشاهد والحالات والصور آثرتنا بالاحساس والشعور والعاطفة ؟ ثم قلت « وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وانا اليه راجعون » اذن فهنيئاً للاصنام والتماثيل الحجرية ؟ ومرحى ثم مرحى للجلادين والسكارى ؟ و إنا لله و إنا اليه راجعون ؟

اليك اله الخلق ارفع رغبتي ... عياذاً وخوفاً ان تطيل ضمانيا(١)
فان كان برء فاجعل البرء نعمة ... وان كان فيض فاقض ما انت قاضيا

مصح ... في ٢٧–٨–١٩٤٦

٢ – اخي الاستاذ . .

سلام على ايام السرور بقربكم وعلى ليالي المرح في مغناكم ، وبعد فهل لمحت الطير تضطرب لأفراخها وهي في قبضة الصياد ؟ او بصرت بمن يشرف على فلذة كبده وهو في غمرة اليم لايستطيع ان يدنو لانقاذه ولا يقوى على رؤيته يستغيث ولا يغاث ؟ ! ذلك هو قلبي وهذا هو شأني تجاه هذا النضو العليل ، حسن عواضه : وهو في مخالب الداء ينظر الى من حوله في عزة مخذولة ويأس مرير : فمذ تعرفت عليه واحطت علماً بخوالج نفسه الكليمة وتاريخ حياته المحزنة اصبحت لا يقر لي قرار ولا يهدأ لي خاطر .

فاذا تهيأت لي اسباب الوصول الى مكانه القصي ودنوت من هيكله العظمي واشرفت على خياله المسجى تزعزع كياني وانهارت قواي لروعة ما أحس وهول ما ارى من احواله واوضاعه ، وقد بدلته الاسقام واحالت نضارة صباه الى عظام نافرة ووجنات شاحبة وانف منصلت وشفاه ذابلة وعيون غائرة خاشعة توشك ان ترعب وتخيف لولا بارق من جمال الالم يهز القلب رأفة وحنانا ، وهالة من جلال اليأس تأخذ اللب هيبة واكباراً ، وتذهل النفس عما حوله من صرعى البؤس وانضاء السقام وعما يكتنفه – في ذلك الجناح الخاص – من وحشة الجوار ، وجفوة الخدم وقسوة الممرضات على مثله من اللاجئين الى كنف الحكومة ورحمة الاقدار .

ولولا باعث من الحرص على تعزيز معنوياته والاحتياط لراحته والمبادرة الى ما يجب من اسعافه ومساعدته على اسقامه وآلامه ، لتخاذلتُ وطال انتكاسي في عاصف من التأوهات والتمنيات الحارة ، ولكن أخذي بتحضير ما تدعو اليه ضرورة الحال من علاج او مأكل او مشرب واسراعي الى ما يرفه عنه من ملاطفة وتهوية وتجفيف عرق وتغيير وسائد ومراقبة همسه وتلبية اشارته ، هو الذي كان ينعش قواي ويشعرني بشيء من الغبطة الروحية لا اعرف له من سبب الا هذا الاطمئنان الى انني اقوم ببعض واجبي تجاه الانسانية المعذبة في شخص هذا الحريب الضاوي الذي اقصاه نبله وانفته عن تملق اللئام واستعطاف الجفاة واستخدام الحيلة والمكر .

***

واذا حال مانع من الموانع الصحية او الجوية بيني وبين الوصول الى مثواه فحالي اذ ذاك لا يختلف عن حال ام رؤوم غادرت وحيدها في حومة الوغى وباتت تضرب اخماساً في اسداس وتحسب الحساب لكل سانح وبارح ، فما ليلي غير تصورات وافتراضات مريعة ، وما تهويمي غير هواجس واحلام مخيفة .

فكلما اصطكت الحناجر بالسعال وعلت حشرجة المصدورين وامتد لهاثهم في جنح الظلام الحالك ، تصورته – في مثل هذه الحال – وهو يضطرب كالطير الذبيح برهة من الزمن ينخطف بها نفسه وتجحظ عيناه ، ويحتقن وجهه ، ويندى جبينه وتتخاذل يداه عن كل شيء حتى عن المنديل والمبصقة .

وكلما دق جرس النجدة والاستغاثة في جانب من جوانب المصح ، تمثلت نحوله واسقامه ، وخفوت صوته ، وخجله من صلف الناس ، وعجزه عن القيام والقعود وعن حمل ما يحتاج اليه ، ثم تمثلت اضطجاعه في غرفة ليس فيها غير السقيم العليل من امثاله قد خلت من وسائل الاسعاف والنجدة حتى من جرس يلجأ اليه المضطر في استنجاد الممرضات واستعطاف الخدم :

وكلما رن صوت وارتفعت جلبة في غرفة من غرف المشرفين على الهلاك تخيلته وهو في سكرات الموت يوزع نظراته ذات اليمين وذات الشمال فلا يرى أحداً من اهله واصدقائه ومريديه يحنو عليه ويسعفه ويعينه في هذه الشدة التي تسترق النفوس وتستصفي القلوب وتستدر العطف والحنان من اشد الناس صلابة وقسوة .

واذا انفتح باب اوشع ضياء واجتاز حارس الليل بسمته

---

(١) الضمان : ما يصيبنا من البلاء والزمانة . (٢) الفيض : الموت .

الرهيب ووضعه المريب طار صوابي وهفا قلبي الى مهد البؤس ومثوى الألم الى حيث يقيم حسن ، لاالوي على شيء، ولاآبه لشيء. فلا هذا الجو بصفائه وازدهار نجومه ، ولااشعة القمر الفضية بانعكاسها وتكسرها على صفحة ذلك الشاطىء الحالم ، ولا هذه المدن والقرى ، بانتشارها بين السفوح والهضاب وتماوج انوارها وتألقها تألق التيجان على هام الجبابرة ولا هذه القمم الشاهقة وتهاديها بطيورها الصادحة وازهارها الفواحة ، وصباها العليل تهادي مستحدث النعمة في ثوبه الجديد ، ولا شيء من هذه الطبيعة الساجية الساحرة باستطاعته ان يصرفني عن الاهتمام بشأنه او يشغلني بتصور شيء غير بلواه او رؤية شيء غير عيونه تصحو وتحدق في طموح قليل نحو من يسعفه ثم تغفو وتغرب في صراع عنيف مع داعي الفناء ،وغير صدره يعلو وينخفض ،ونفسه يضطرب وعرقه ينهل ،ولسانه يهمس بما لا يكاد يبين من كلمات الضراعة والاستسلام للارادة الحكيمة الجبارة ،

لا شيء من هذا كله بقادر على ان يهوّن خطبي في محنته والحاح الزمان والداء على صباه الغض وروحه العذب وقلبه الكبير الساخر من الحياة والموت في وداعة ورزانة وشمم توشك ان تجعله —وهو في غمرة من الفواجع والآلام— المعنى الاصيل لقول الشاعر:

هو في قبضة الخطوب انتفاض ... من اباء ولفتة من عناد
يخنق الزفرة الجموحة في الصدر ... ويجري مع الحجى باتئاد

***

اما نهاري فصمت وتفكير في طباعه واوضاعه، ودرس وتحليل لاقواله وافعاله وما تنم عليه من نبل وأنفة ، وحساسة بارعة ، وعقل حصيف وارادة حازمة، وصبر جميل على عف القضاء والقدر وجور الليالي والايام .

واني لا ازال اذكر — بمضض واعجاب — من اقواله وافعاله ومزاياه ما يصور جوانب شخصيته الفذة ويمهد السبيل لتقدير ما ضاع من ملكاته وخصائصه الروحية في قرار البيئة الخاملة ، وفي مجاهل الفقر والبؤس ، وفي مهاوي الحرمان من وسائل الثقافة الصحيحة والدرس العميق ، ثم من دواعي الغبطة والثقة والطموح الى ما يناسب استعداده الفطري من حياة مجيدة .

فمن ذلك انه علـى نحوله وهزاله بحيث لا تراه يختلف عن الهيكل العظمي بغير الجلد والعصب ، وعلـى ضعفه وعجزه عن القيام والقعود ثم عن النوم الا على جنبه الأيسر ، وعلى ما يتنابه من الحرارة الشديدة ومن وجع الرأس والاضراس وألم المعدة وتورم القدمين والتهاب الجانب الذي ينام عليه من اقصاه الى اقصاه على هذا كله لا تسمعه يشكو او يتوجع او يفوه بكلمة تزعج الجار وتروع المحب :

ومنها ان تراه — وهو على مثل تلك الحال من الضعف والالم — يتجلد ويكظم ألمه ويتكلف من الحركة والكلام والانتباه فوق ما يتحمله ضعفه وتسمح به اوجاعه — عندما تزوره والدته وجدته وعمه او اي شخص يطمئن الى عطفه وحبه — ليوهمهم انه بحالة صحية تدعو الى الاطمئنان والتفاؤل وهدوء البال . ذلك مع شعوره بنهاية اجله وانقطاع كل امل بالشفاء من علته .

ومنها ان تراه : على اختلاف عوامل الفقر التي تحيط به وعلى يأسه من بر والده واهله وعلى فراغ ذات يده وحاجته الى النفقات الزائدة في غربته وشدته — يضيق ويمتنع عن اي مساعدة مالية مهما تفننت في الاحتيال الى اقناعه بوحدة الحال ورفع الكلفة ، وانه على ما يعتقده من عطف عمه — زوج والدته — واستعداده لكل تضحية في سبيل راحته ، ما برح يتكفف في مصرفه ويقتصر على الضروري من مساعدة عمه خشية ان يتكلف له فوق ما تتحمله امكانية صاحب عائلة كبيرة قد خانه الحظ في مسعاه واخطأه التوفيق في كسب الثروة .

ومنها انه طلب الى احد اصدقائه في ذات يوم ان يأتيه ببعض المنعشات من الممرضة التي تشرف عليه ولما شعر بانها لم تحترم ذلك الصديق في جوابها ، اغرورقت عيناه بالدمع ، وقال — في غصة المخجول — هذا بسببي ؟؟

ومن ذلك انني طلبت اليه — وقد تناهى بضعفه وحاجته الى الاسعاف المستمر — ان ينتقل الى حيث أقيم من الطابق الزوراني ليتهيأ لي وله السرعة والاستمرار في نجدته ، فامتنع وابى وقال — بلهجة بيروتية — ما معناه « انني قبل ان انتكس كنت اوزع البريد على المرضى فتهيأ لي ان اعرف طباع المرضى وامزجتهم على اختلاف الطبقات ، فلا تؤاخذني اذا قلت لك : انها مغامرة لا اطمع منها بخير وعافية ؟ ؟

***

هذا قليل من كثير مما سمعته وشاهدته وشعرت به من احوال هذا الفتى الناشيء ، واوصاف هذا الغريب المجهول حتى بين اهله ووطنيه ، فما عسى ان يقول فيه الألمعي المنصف ؟ وما عسى ان ينتهي اليه الفكر النافذ من نتيجة وحكم ؟ وما عسى ان

يكون لذلك من اثر على الوجدان الحي والعاطفة النبيلة ؟؟ ذلك ما احب ان اعرفه ويعرفه كل من هؤلاء الذين اقصاهم العرف الزائف واضلهم الغرور والتمويه عن التقرب بعطفتهم وثقتهم ، واكبارهم، الا للناشئين في ظلال الارستقراطية السياسية، او الدينية او الرأس مالية.

***

وبعد فهل تظن اني بهذه الكلمة وفيت بكل ما انتهى اليه الفكر والحس والخيال من حياة هذا المنكوب ومزاياه ، اثناء هذه المدة القصيرة التي عرفته فيها ، وحاولت ان اقوم بشيء من واجب المواساة والنجدة، هيهات؟ فان ذلك ابعد منالاً واقصى غاية من ان يحيط به قلمي ويقوى عليه بياني في مثل هـذا الجو العابس والازمات الخانقة التي تلجئني بين ساعة وساعة الى ان انشد مع الشاعر القروي قوله :

واحيرة العاقل من «داهر»   قضى وامضى بشقا العاقل
يعمل ما لو غيره عامل   لقامت الدنيا على العامل
كم صرعة للحق قد زلزلت   رأيي في الحق وفي الباطل
أبليس يا مسكين مت غيرة ؟   فالصلب حظ البشر الكامل!
ما كانت الآلام مذ قدرت   الا نصيب الرجل الفاضل
فلنحمد الله على نعمة   خصّت بنا من فضله الشامل

مصح ... في ٢٩-٩-١٩٤٦

٣- اخي ...

انه لقد جرى حكم القدر بما كنت أخشاه واتوقعه ، وفاضت روح حسن وسكتت نأمته ، وليس من العسير على من اتاحت له الحياة ان يرى كيف يحتضر الطاووس وان يبصر كيف يذوي الزهر ، وان يتصور كيف تتلاشى النفحات العطرية في ضباب الفجر ، ان يتمثل معي هذا الوسيم الشفاف وهو يتجرع غصص الموت ويتلاشى شيئاً فشيئاً ثم يقضي وعلى شفتيه ممة المتهلل الباسم ، وعلى مقلتيه وداعة المطمئن الحالم ، وعلى قسماته وضاءة المغامر الظافر ، ليعرف اي وقع لهذه الفاجعة واي اثر لهذا النبأ على احساس من ادركه في عنفوان بؤسه وألمه ، وعلى وجدان من لازمه في اشد ايامه بلاءً ومحنةً ، وعلى عواطف من اكبر نبل شعوره ، واعجب بأنفة طبعه وآمن بتسامي روحه على ما كابد من جور الداء ، وعنت الفقر ، ولؤم المجتمع !

يا يومه لم تدع حسناً ولا ادباً   الا حكمت به للحد والكفن
لله مقلته والموت يكسرها   كأن اجفانها سكرى من الوسن
يرد انفاسه كرهاً وتعطفه   يد المنية عطف الريح للغصن
ياهول ما ابصرت عيني وماسمعت   اذني فلا ابصرت عيني ولا اذني
لم يبق من بدني جزء علمت به   الا وقد حله جزء من الحزن

على انني لم اضطرب له عند موته اضطرابي له وقد جدّوا به الرحيل وخفقت عذبات نعشه في الافق البعيد كأجنحة الملائكة المحلقين بروحه الطاهر ، ذلك باني كنت—وانا يائس من شفائه— اتألم لما يلاقيه من عناء وكرب. واتمنى له الراحة والخلاص من هذه الحياة المريرة التاعسة التي ترهقه بانواع العذاب وترهق كل من يجزع له ويحنو عليه ، ولكني بعد ان فرغت من تمريضه وتشييع جثمانه بآخر نظر واوفر دمع، ولم يبق عندي من آثاره غير صور مجردة ينطوي عليها هذا الفؤاد المعذب انطواء العلب الحريرية على قطع من الجوهر الثمين.. طغى الحزن على كياني وغشيني من الهم ما جعل ايامي كئيبة عابسة اتخطى ساعاتها ودقائقها على مضض من الحياة ، ووحشة من الناس وجزع من كل شيء. يذكرني به ويشرف بي على دنيا البؤس والألم والقنوط التي لا ينفك صداها يرن في مسمعي وصورها القاتمة تتوالى على مخيلتي كلما صادفت واحداً من هؤلاء الذين كانوا يمتّون اليه بصداقة او عداوة او جوار ، ويقصون من اخباره واسرار نفسه كل ما يثير العطف ويذكي اللوعة ويضاعف الاكبار ، وكلما تعرضت لهذه الامكنة التي كان يجوب مداها الرحب بنظراته العميقة ، ويملأ فضاءها الواسع باحلامه البعيدة، ويلهب سفوحها المخضلة بتأوهاته المتأججة، وكلما طالعت مأساة من هذه المآسي التي تغيب في آفاقها النفس عن كل ما في الحياة من راحة وطمأنينة ورجاء ولا تأوب الا بغصتها وحزازتها من كل مسرح للأنس والسرور وكل مظهر للنعمة والعافية حرم منه امثال هذا الشقي العاثر الجد ، وفاض — بغير جهد — على من لا يستحقه من لئام الناس وطغاتهم .

***

ولعل اشجى ما يمض النفس من ذكراه الاليمة ، هو ضياع ملكته الفذة في مهاوي الحرمان والاهمال والفواجع التي اجتاحت قواه واحاطت بنشأته من البيت الى المدرسة ، الى المصنع ، الى القبر ،.. ثم هوان خطبه على.. الناس كأن لم يكن غير وهم باطل او خيال زائل ؟!

فمن مظاهر هوانه التي جزعت لها في المصح هذا الاستخفاف بشعوره وعواطفه من الممرضة التي كانت تشرف على تمريضه ومن

ولتلك الخدم المسخرين لارادتها ، فقد كانوا جميعاً الا ما ندر — لا يتحاشون عن اهمال رغائبه ومطالبه وتمنياته وعن الفتور عما يضطر اليه من اسعاف او علاج او مأكل او مشرب .

وحسبك للعلم بما انتهى اليه من ذلك .. ان تتمثل معي شعر رأسه — لمرور الايام والشهور عليه بدون غسل — يلتصق بالجلد او يتناثر خصلاً متماسكة الاجزاء خشنة الملمس باهتة اللون تذكرك بآهات الجواد الذي خانه السائس بعد طول السفر وتمادي الجري واضطرام الافق ، وتشعرك بما يحيق به من قسوة واهمال وحيف ، وانني لم أر وسيلة لانعاشه وتخدير اعصابه — عندما يشتد عليه ألم المعدة — مثل ان احكّ رأسه واسرّح شعره حتى اذا استمريت على هذه الحال ارتاح واغفى وهانت عليه اوجاعه .

ثم كانوا لا يتورعون — في تصريحهم وتلميحهم — من إشعاره بانه ميت عن قريب ! كما انهم بعد وفاته لم يراعوا جلال الموت ولا حرمة الميت ولا شعور من كان يحيطه ، بكل عطف وتقدير ، حين نقلوه من سريره الى النعش ، اذ تقدم اليه اثنان من اجلافهم جذبه الاول من رقبته وجذبه الثاني من رجليه ثم رفعوه بسرعة تقوس لها ظهره وتأرجحت يداه ، واضطرب وضعه ، ثم القوه كما يلقى الاناء الفارغ بدون اكتراث لهذا الموقف الرهيب الذي يسمو بروعته وجلاله عن عبث السفهاء .

ومنها انني عندما زرت النبطية مسقط رأسه ووطنه الاول لم ار فيمن واجهت — وهم كثر — من يعرف عن موته اوحياته شيئاً بل من يشعر بفقده وقد مضى على وفاته اسبوع كامل ، وعندما يممت بيروت — مرتع صباه ومثواه الاخير — واتصلت بالمقيمين هناك من ابناء منطقته لم اجد الحال عندهم تختلف عن الحال في النبطية من حيث الجهل بحقيقة امره والاستهانة بشأنه حتى اشفقت ان يكون ممن عناهم الشاعر بهذا القول .

قضى المنون بقوم لا تحسهم كأنهم من هوان الخطب ما وجدوا

مما يدعو الى التفكير في حكمه ، والى الوقوف عند تعميمه اذ ان فيمن هان خطبهم عند الناس ... عند الناس — من كان له من سمو فطرته وسمو همته واتجاهه ما يؤهله لان يكون جاهاً لقومه وثروة لوطنه ، ولكن التوفيق اخطأه والايام حاربته في بيئته ونشأته وفي وسائله ومقاصده حتى مات بغصته موتة الجندي المجهول في غمرات المحيط فهوان الخطب في مثل هذا كفداحته — عند

الأديب

☆

— لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير)

— تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة لبنانية

في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات ونصف

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيهاً مصرياً او استرلينياً او ٦٠ دولاراً كحد أعلى

☆

— المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

— للاعلان يراجع المدير الفني : مختار شملي

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

☆

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت — لبنان

شعرائنا—بموت من توصلوا الى الجاه والمال والشهرة الفارغة ببيع الضمير والوجدان والاستخفاف بحقوق الوطن وكرامة الامة، كل من الحالين لا يعدو ان يكون من ظلم الاقدار الغاشمة وجور التقاليد الزائفة لا من عدلها وانصافها:

***

ومن ذلك انه، حين ذهبت اؤدي فروض الذكرى وواجباتها في اليوم السابع من وفاته، واجتزت بهذه الغابة من القبور الرخامية المدلة بزخرفها واناقتها الى ذلك الجانب الخاشع المتواضع تواضع من ثوى به من الغرباء والمساكين، . فما راعني هنـاك غير هذه الكومة من الرمال قد احاط بها اطار خشبي كتب على جانب منه اسم حسن عواضه: وتاريخ ولادته سنة ١٩٢٥ وتاريخ وفاته سنة ١٩٤٦ وكتب على الجانب الآخر هذان البيتان:

يا زائري لا تنسني ... من دعوة لي صالحة
ابسط يديك الى السما ... واقرأ لروحي الفاتحة

اذ لم اجد في رسم القبر وسذاجة هيكله ولا فيما يحيط به من هذه الاجداث المقفرة من كل زينة المعطلة من كل زخرف، ما يدل على انه كان في موته اوفر حظاً عند الناس — واعز شأناً منه في حياته ومرضه، واذ لم ار في هذين البيتين المعلقين — كوسام الاستحقاق — على القبر ما يمثل ذلك الطبع الابي الذي كان يتحلى به صاحب القبر، ولا من المعاني السامية ما يبهج نفسه العزوفة عن ممالأة الناس والوقوف منهم هذا الموقف الخانع المستكين:

ومما زاد في ارتياع القلب وذهول النفس ازاء هذا الجدث المهمل، ما تشف عنه هذه الاطلال الموحشة الضارعة التي تحوطه وما تجيش به هذه البقعة الواجمة الكئيبة التي تحضنه، من صور القلوب الدامية والعبقريات المكبوتة والآمال المحطمة، وما يردده صمتها وسكونها من صدى الانين الخابي، والاناشيد الخافتة، والزفرات المستعرة التي اجتثها وطواها البؤس والحرمان والجور، في قرارة هذا الصعيد المكتظ بالاحلام والصور المختلفة، والزاخر بالآيات والشواهد المطردة على عبث الايام، وغرور الانسان، ومآل الحياة الى هذا المستراد الحرج! والنهاية القاتمة الرهيبة؟

***

واني لا آسف لشيء — عند ذكره — أسفي لأن الايام لم تتح له شاعراً متواضعاً يصغي لبلواه ويستوحي ظروفه، ويبكي صباه الناضر، وامله اليائس وخلقه المصفى، وما الى هذا من خصائص بارعة غالها الموت وعفى عليها النسيان.

واذا كان لهذا الاسف ما يلطفه ويهونه، فانما هو هذا الاعتقاد مني وهذا الشعور بان الناس قلما يحتفون وقلما يرثون او يبكون تأسفاً على الموتى او اكباراً لخطبهم وتأثراً بمصابهم، وانما يصطنعون البكاء ويتكلفونه تزلفاً للأحياء واستغلالاً للمناسبات، وذلك شيء لا يحتاج الى برهان في الاوساط اللبنانية ففي العام الماضي توفى شابان نبيلان لا يختلفان عن حسن عواضه في حداثتهما، ولا يفضلانه في ذوق او عقل، ولا يمتازان عنه في خلق او خلق، ولا كانت الظروف والعوامل التي احاطت بوفاتهما اقسى وامض واشجى من الظروف والعوامل التي احاطت بوفاته ومع هذا كله فقد اهتز الاقليم لوفاتهما وتسابق الشعراء والادباء في رثائهما وتأبينهما، على جهل البعض منهم بحقيقة نفسيهما واتجاهها او ميزاتهما، . . بينما تجاهل الكثير من مواطني حسن متى مرض ومتى توفي؟! وابتعدوا عن التعرف عليه والنظر الى ما احاط به من ظروف قاسية وما انتهى اليه من نهاية محزنة.

فما السر في هذا؟ غير ان اولئك ماتوا في كنف اعزة اغنياء يعلمهم الناس ويرجونهم فيخضعون للتقاليد والاعتبارات التي تحسن لهم الممالأة والمجاملة في اصطناع البكاء لاحزانهم وتكلف الضحك لافراحهم وتهانيهم من غير ان يبحثوا عن اثر ذلك في نفوسهم او عن مدى الاخلاص للروح الفنية والارتفاع بالمستوى الأدبي عن الملق والتدجيل، . . وقضى هذا غريباً في وطنه مضطهداً بين اهله بعيداً عن كل ما يدعو الانانيين الى استكناه حقيقته، واستشعار المه وبؤسه، واعتبار هذه المجموعة من خصائصه الذاتية وظروفه القاسية، ونهايته المؤثرة، موضوعاً فنياً للرثاء العاطفي الخالص من اثر الصنعة والرياء. قضى ولسـان حاله يردد مع ابي الوفاء:

ابي وفي النار مثوى كل والدة ... ووالد انجبا للبؤس امثالي
خلفتني ووضعت الحبل في عنقي ... تشده كف دهر جد ختال
ما كان ضرك لو من غير صاحبة ... قضيت عمرك شأن الزاهد السالي

مصح . . . في ٣٠—١٠—١٩٤٦

علي الزين

خطوات في الظلام

☆

لبلند الحيدري

بغداد

قدمـــان مرا يضربان الليل في رفق ولين
يتجاذبان مطـــارف الخفقات في قلب السكون
متعثران كأنمـــا شدت وثاقهمـــا الدجون
يتهـــافت الاعيـــاء فوقها فيقتله الحنين
يا قصة الايقـــاع ، يا حُلمي
بماذا تحلمين . . ؟

***

قد كان لي قلب كخطوتك الرشيقة لا يمل
تجثو على خفقـــاته الحمراء انوار وظل
تملأ كـــأنفاس الربيع حياتهـــا عطر وطل
واليوم قد وصل الوجودَ ومـــات ابدعُ مـــا اجمل
حلمي واشواقي وآمالي
وما تتأملين

●

شقـــراء

☆

لودبع ديب

شقراء يا وهجَ الشروق في غفوة الارق المشوق
شقراء يا صحو الكؤوس يشف عن دنيا الرحيق
يا حلم اوراد الخريف يلوح في ومض البروق
يا شعلة قدسية اجلو بهـــا حلك الطريق
ومنـــارة سحرية نهدت على الشاطي السحيق
حملت الى قلبي الرجـــاء وكان في يـــأس الغريق

***

شقراء يا تسبيحة الولهـــان في الخطر المحيق
يشدو بهـــا « يا ليل » والاجفـــان تحلم بالشروق
حتى اذا . ما بحّ صوت العود في الوتر الشفيق
وتلاشت الاحلام عبر الوهم في الازل العتيق
فاظله الصمتُ الرهيب فبـــان في اسر الوثيق
نطقت بهـــا الاجفان عن دمع كصافية العقيق

طعامنا اليومي

بقلم السيدة وداد سكاكيني

☆

أشبهت «مبروكة» العصفور في حب البكور، فما ان تلوح لها تباشير الصباح حتى تتقلب في مضجعها متلفتة الى منافذ النور، فتقذف باللحاف جانباً وتحدب على «جاد الله» بحنان امومتها، متحسسة خديه بأناملها سادرة في نظراتها، فاذا انسرب اليها شعاع من الشمس حفزها الى النهوض وردها الى بغية الصباح، فتهز صغيرها برفق ووجوم وتناديه:

يا الله، يا جادو... قم هات الفول قبل «يشطب» العم متولي

وكان صوتها الناشز المطوط يجوز فضاء بيتها الخالي الى بيوت الجيران، فكانوا يسمعونه عند منبلج الصباح، ويعدونه علامة على ساعة البكور

كانت تجاورهم في بيتها دون ان تلم بهم او تسعى اليهم، وكانوا يتمثلون فيها معاني الحياة التي تعيشها وطفلها في بيت صغير حقير، لم يكن مبنياً مثل بيوتهم من حجارة وطين، وانما كان قائماً بالخشب والصفائح مسقوفاً بأعواد الذرة وقش القصب، ولم تكن مبروكة دميمة او عجوزاً، بل كانت مثل زهرة مطمورة في اعشاب قذرة.

كانت على وجهها مسحة من ملاحة لا تأخذها العين لأول وهلة، فان مبروكة كانت تمضي بها ايام دون ان يمس الماء وجهها حتى علق الرمص بجفونها والتصق الوسخ ببشرتها ولو عرف وجهها الماء كل يوم، وسرحت بالمشط شعرها المنفوش للاحت ملاحتها او لواتيح لها ان تبدل بثوبها المهلهل جلباباً نظيفاً لبدت على حقيقتها.

كذلك تعودت مبروكة ومضت في حياتها، قانعة بالكفاف راضية بهذه القروش المعدودة التي كانت تأخذها من عمتها كل شهر لتستعين بها على المعيشة، وتستريح من الكدح في مرافق الحياة كما يكدح امثالها في بيع الفجل والكراث، او في بيوت الميسورين والأوساط خادمة او ملمة بها يوماً بعديوم لكنس او غسيل ولقد صدوا عنها وردوا صغيرها لكسلها وتكلانها، فلم يتعطفوا عليها كما تعطفوا على المعوزين ممن يسعى الى خدمتهم او يسألهم صدقة وعونا.

ولم يكن ثمة من شيء مبذول لمبروكة غير الماء، وكانت تضن به اهمالاً وتواكلا، الا على شربه ولو كان آسنا، غير عابئة بنظافة ولا نقاوة، اما القرش فكان في يدها كالدينار في يد البخيل، اذ كان يأتيها متزوراً يسيراً، حتى اذا قبضت عليه وضت من شماسه وفركته في كفها فركة تأنيب وتأديب، ثم حفظته في صرة صغيرة شدتها في حزامها، ولم تكن مبروكة بخيلة بطبعها، ولكنه الفقر والكسل، ولولا انها ورثت الخلخال من امها لنزعته من عرقوبيها وباعته لتشتري بثمنه القوت، وكان هذا الخلخال الموروث مما يزيد في كسل مبروكة وتراخيها وبطئها، فهو يشدها الى الارض فلا تسعى في بيتها او في الطريق الا بتثاقل وتخاذل.



ولم يكن «جاد الله» يستغرق في نومه صباحاً، فمذ تناغيه امه وتناديه كان ينفض عنه اللحاف المتهافت الذي برز قطنه الأغبر من ثقوبه الكثيرة،

ولولا العمش الذي كان يلصق بجفون «جادو» وبقايا الرمد لفتح عينيه دون ان يعركهما ليزيل ما علق بأجفانه، فهو ينهض من فراشه خفيفاً نشيطاً كطير فاره، ويدور حول امه عجولاً لهيفاً، حتى تدس امه في يده «قرش تعريفه» فيمد هذه اليد الصغيرة الى الرف ويتناول طبقاً من النحاس كان بيّضه المبيض القديم الذي حل بعده في الحي مبيض آخر لقد غار اسفل الطبق بسواد تبين منه احمرار النحاس وتثنى اطاره وكان له بين يوم ويوم نصيب من الماء لكنه في ذلك الصباح بقي غير مغسول ولا نظيف.

ويمضي جاد الله بقدمين حافيتين شققها التراب وما عرفتا النعل الا في طفولته حتى ينتهي الى بائع الفول المدمس فيصبحه من بعيد مزاحماً بجسمه الصغير جسوم الكبار من الخدم والأولاد متعثراً بجلابيبهم الفضفاضة يزيحها بيديه الصغيرتين ليجد سبيله الى البائع ويهتف به في توسل والحاح.

يا الله، يا عم متولي... بتعريفة فول من فضلك...

ولم يكن العم متولي ليرضى بأن يبيع من فوله بأقل من قرش تعريفه، فما اكثر ما حاولت مبروكة ان تكتفي بمليمين من الفول ولكن العم متولي كان يرد «جادو» بطبقه فارغاً الا اذا اداه «تعريفة» ولا يكاد متولي يضع قدر الفول على باب دكانه مرفوعاً فوق منضدة صغيرة حتى تتعاور على فم القدر ملعقة كبيرة بالسكب والتفريغ واذا هو بعد قليل قد «شطب»

ويجيء جادو بالفول والرغيفين على عادته كل صباح، فتضع امه الطبق والخبز على الحصير بعد ان تذر على الفول قليلاً من الملح، ثم يجلسان متربعين ليلتهما هذا الطعام من غير زيت ولا ليمون.

عجباً، ايكون هذا الفول اداماً لهذين المحرومين ام يكون خبزهما هو ادام الفول؟ فان خبزهما الاسود يجمل الفول ادامه، وقد تجود عليهما مواسم الاعياد بالخبز الابيض الذي يأكل منه بعض الناس، فيكون هذا الخبز هو ادام الطعام اليومي.

وكيف يأكلان؟ كأني بهما اراهما منفطرة القلب مشفقة النظر يزدردان الفول فلا تكاد يداهما تمتدان اليه حتى ينكشف اسفله ويمحى فوله ويمسح مرقه ان كان له مرق اذ ان للمرق ثمناً آخر، فيأكل كل منهما بقية رغيفه قفاراً من غير ادام، فتقوم مبروكة خفيفة المعدة، وينقلب جادو الى اللعب دون ان يشكو خفة بطنه فاذا احس الجوع بعد قليل عض بأسنانه قطعة من الخبز الجاف كانت جيبه لا تخلو منها، فيسد بقضمها والتقامها فراغاً ان كان ثمة فراغ، واذا اقبل الظهر او العصر، وما كانا يأكلان في ابان الغداء، كان لهذين البائسين مندوحة عن فول الصباح باقراص من «الطعمية» ومعها ورق الفجل او خضرة الجرجير، وفي موسم البلح كانت ام جادو تجود على ابنها بمليمين كل يوم يشتري بهما بلحاً للغداء تشاركه امه فيه، وان حزمة بمليمين من هذا الطعام الارضي «الفجل او الجرجير» ليكفيان جاد الله وامه ويكفان عنهما جوع المساء الى اوان الفول المدمس عند منبلج الصباح.

كانا لا يملان من هذا الادام ولا يكلان عن ابتغاء هذا الطعام في غير الحي ان فاتهما من عند العم متولي، فهما في ركب ملاعيم من الفقراء والمساكين لا يأكلون سواه ولولاه لحرموا ارخص غذاء لا تجده في غير مصر، واذا شاؤوا اكلوه «طعمية» او نابتاً مسلوقاً، فيتبدل طعمه تحت اضراسهم، وان امتلأت جيوبهم بالقروش قل طعامهم من الفول، على ان اوساط الناس والموسعين لا يستنكفون عن هذا الطعام اليومي فهم يشاركون الفقراء في طعامهم الشعبي الموفور، ولكنهم يغمسونه بخبزهم الشهي مسكوباً عليه زيت الزيتون ومغلي السمن الى جانب طعامهم المترف، وانها لشركة مواسية مواتية، تعزي المعوزين وتعطف قلوب الموسرين على المعسرين

لقد الف هذا المحرومان طعامهما اليومي الفتهما للهواء الذي يتنفسانه والماء الذي يشربانه، فغدا غذاؤهما هذا ضرورة مقضية بل ضرورة فلسفية لمثل هذا الفقر، وكانت مبروكة فيلسوفة بطبعها، وكان جاد الله فيلسوفاً بالخلقة فهما متعيشان متقشفان، ويحسبان من بقية تلاميذ «ايبكتيت» المتقشف القديم.

ولم يكن بائع الفول رحيماً بجادو ولا بغيره من المحرومين والمملقين، فهو يكيل الفول بالحبات، وقد يخادعه بعض العمال او الخدم والصبيان ملحين عليه بان يجود بالمرق، فلا يستجيب لهم، وانما يبيع هذا المرق لطالبيه، لكنه في ايام العيد كان يسخو بالفول ويرأف بجادو، فيهزه هذا الطفل الاثغ المسكين حين يأتيه بكرة في العيد، فيزيد له المقدار المعهود، ويعود جادو الى امه فرحان وقد اندلع الفول على اطراف الطبق، وكان قبل العيد تجول حباته في قرارته الواسعة فيمسحه جاد الله بشفتيه ويعب منه في الطريق، وترى هذا امه على اطراف فمه فتضحك، ولو انه فعل ذلك قبل العيد لقاضته لطمة على كل فولة.

الفت مبروكة هذا الطعام اليومي وتعودت شظف العيش والقناعة بما يبقي عليها وعلى صغيرها الحياة، فما تسخطت يوماً ولا ابتغت الوسيلة الى تغيير معيشتها ولا اشتهت ان تتزين متشبهة ببعض صواحبها ممن قست عليهن الاقدار والايام، ولكنهن ما قسون

على انفسهن في زينة رخيصة ، فقد اتخذن من هذه الزينة شفاء لغليلهن الذي اثاره الحقد الكمين واذكاه العنت والحرمان.

اما مبروكة فكان بينها وبين الزينة حجاب صفيق من الاهمال والزهادة ، وقد غطى الوسخ على بشرتها ، وتراكم سواد التراب فوق عرقوبيها وسرى هذا السواد الى خلخاليها اللذين كانا كالقيد في رجليها ، والماء مبذول لها ، فما سعت اليه وهو لا يكلفها جهداً ولا مالا ، ولو انها انحدرت الى ضفاف النيل قريباً من بيتها، فبللت بمائه الخير قدميها وفركتها ثم غسلتها لبدا بياض عقبيها المتشققين ، على ان نعليها كانتا بكعبين وهذا جهدها ، وخير لها ان تنتعلها على رثاثتهما من ان تأكل الارض اخمصيها.

اكبت هذه المسكينة ذات صباح على طعامها اليومي ، وبين يديها « جادو » يلتهم رغيفه بنهم ، فذكرت ان عمتها ابطأت عليها بميعادها المحتوم ، وقد راعها ان تنساها من برها المعهود ، ولج بها هذا الخاطر ففترت يدها عن الطعام وزهدت فيه نفسها حتى وجد جادو منفرجاً له ، فامعن في الطبق وتكبير اللقمة ، ولما اوشك ان يأتي على الفول ويمسح مرقه ابهت له امه وشدهت ، وانهما لتهم بانتهاره اذا بالباب يصفق ويقتحم ، وتندفع منه عمتها فاغرة الفم بكلمة البشرى والامل ناترة من امام مبروكة طبق الفول الفارغ ، فبهتت البغتة مبروكة وعقدت لسانها ، ولم تصدق ما رأت من هذه العمة الحنونة البرة حين بسطت مكان الطبق صرة من الورق اشارت اليها وكشفت عنها ضاحكة عجلى ، فاذا هي فطائر ساخنة حمر الفرن وجهها وبيضه السكر المذرور.

ومر جادو مكانه ، وصول النظر الى هذه الفطائر التي طالما علقت عيناه بها دون الوصول اليها ، فلما سمع عمته تلح على امه وعليه بأكلها جعلا يلتهمان هذا الطعام شرهين مشدوهين اشبها قطين جائعين في زمهرير الشتاء ، وكانا يأتقان بلهفة ولذة هذه الفطائر التي ما ذاقها الصغير مذ عرف الطعام ، وقد عرفتها امه في عهد عرسها المسكين مرة او مرتين.

سبحانك ربي يا من تغدو في ملكك الطير خماصاً وتعود بطاناً احقاً هذه مبروكة ام جادو الكسول المتقشفة ؟ يا لها مليحة فارهة تزري بكل غانية ، اين كانت جفونها الوطف المكحولة وعيناها الوديعتان وانفها الاقنى ومبسمها الرقيق ؟

لله يد المال ، فقد امتدت بسحرها الى مبروكة وبدلتها امرأة ثانية ، فنزعت مبروكة عن جسمها ذلك الرداء الذي لصق به الوسخ ولم يعرف الماء والصابون ، وبرز قدها الممشوق بثوبها الانيق

فحركت عينيها وتحسست نفسها كمستيقظ من حلم ، وحين احست الحقيقة واستيقنت ان ابن عمتها الحنون قد غدا زوجها طفر من عينيها دمع السرور ، ونادت جاد الله فضمته الى صدرها ونشقت منه عطراً بعد ان كان يملأ خياشيمها وضحه وصنانه ، ونامت لياليها الاولى في بيتها الجديد ، ترف عليها عين عمتها بالحنان والاحسان ويحوطها زوجها بالمودة والرحمة وقد اخذته الرأفة بصغيرها اليتيم.

ولم تخلف مبروكة ميعاد البكور ، فقد نهضت ذات صباح جائعة لهفى ، فاعدت الفطور وكان فيه الزبدة والزيتون ، غير انها احست ان هذا الطعام برغم جوعها لا يشوقها ولا تشتهيه نفسها ، ولو تسللت الى دخيلتها بحس عميق اسمعت فيه حسيساً ملحاً يطالبها بطعامها اليومي ، ولم تشعر الا بوقوفها عند جادو وهو يغط في نومه ، فصاحت به بصوتها الصافر الممطوط :

— الله يا جادو . . . قم عاوزه فول . . .

لم تكد تتم جملتها حتى هب جادالله مرتاعاً في غير وعي ، وداو على عقبيه يتلمس رفاً على الحائط ، وقد ضاقت انفاسه وهو يرتفع بجسمه عن الارض ويتحسس الرف بأصابعه ، واذ لم يجده نادى امه :

— ماما تعالي . . . اديني الطبق . . .

ولم تلبث دقائق حتى كان الطبق الصيني الجميل مزهواً بفوله ، طافياً بسمنه وليموته بين اطباق الفطور على الخوان ، وسرعان ما امتدت يد مبروكة الى طعامها الاول الذي كانت تشارك فيه كل صباح الوفاً من الفقراء والمساكين.

وتحيرت يد جادو بين الاطباق حتى وقفت عند الفول الذي حن اليه ، وقد انقلبت امه عن هذا الطعام شاكرة نعمة الله ناظرة الى غيره بعين الاكتفاء ، وقام جادو عن فطوره وهو ينظر الى اللبن والشاي بعين الارتواء.

ولئن زهدت مبروكة بالفول وعافته نفسها فما عادت تحن اليه الا حيناً بعد حين ، فان الالوف من قومها موسرين ومعسرين ، ما يزالون هم او خدمهم لا يستغنون عن هذا الطعام ، فتراهم يسعون الى بائع الفول في البكور ، وكم فيهم من المساكين من يقبل يده بعد الشبع فيقول وهو يمسح فمه من لقمته الاخيرة :

— يا كريم يا رب . . . ادم علينا طعامنا اليومي . . .

القاهرة وداد سكاكيني

في المنحنى

خيوط

زاهية كرَّت أمـامي ،
تلاشت في احدى الزوايا ،
رَبضَت :
في قارورة بيضاء ،
تمتص من سائل أسود.

***

وراءها :
سيّرت انفاسي ،
لتنقذ الوانها المدلهمّة ،

***

امامها :
حطمت كأسي ،
لأري عيناً دروبها القاسية.
في القارورة طال مكثها ،
دقَّ شخصها ،
اشتدَّ سوادها ،
غرّدت.... فطربتُ لشجيّ لحنها.
تركتها تغني أطياف ماضيها ،
ارتجف ذلك الشبح ،
فانطوى على ذاته ،
صار خيطاً اسود ،
يقتل بعضُه بعضاً.

***

تنفست :
فارتعش ،
ارسلت عيناً :
فتقلص ،
تلاشى :
الى أين؟ لست أدري.

ثريا ملحس

شرود

أين أنا ؟ ياليل .. من يعلم ؟
لقد طواني جنحك المظلم ..
ضلّت بي الارض ، وغام الفضا
وغارت الاضواء ، والانجم ..
اين انا ؟ يا ليل .. اين انا ؟

***

اين انا ؟ يا ليل .. اين التي
مرّت ، مرور الطيف في غفوتي ؟
غيّبها الافق .. وما من صدى
الا انحدار الدمع من مقلتي !
اين انا ؟ يا ليل .. اين انا ؟

***

اين انا ؟ يا ليل .. قد طوّفت
بحيرتي اشباحك الهائمة
وطال مسراي .. فأين الهدى ؟
اين صباح الليلة القاتمة ؟
اين انا ؟ يا ليل .. اين انا ؟

***

اين انا ؟ يا ليل .. حتى متى
ارقب ، يا ليل ، انفلات السحر ؟
اتاركي انت بلا مأمل ..
اصحو على ايمائه المنتظر ؟ !
اين انا ؟ يا ليل .. اين انا ؟

حمص عبد السلام عيون السود



١ ــ سخريات صغيرة

ترجمة الاستاذ محمد قطب – ١٧٤ صفحة – لجنة النشر للجامعيين – مصر

هذا أثر ممتاز يقبل القارىء عليه بشغف ولذة خصوصاً عندما يجد انه حوى ابدع الاقاصيص الساخرة لاعلام القصة في العالم وهم: دستويفسكي، تولستوي، توماس هاردي، سمرست موم، ستيفان زفيج، ساكي، وكل واحد من هؤلاء يكفي اسمه للدلالة على مكانته في عالم القصة الخالدة.

وقد احسن المترجم الاختيار بانتقائه هذه «السخريات الصغيرة» لكل من هؤلاء الكتاب. فاذا بالقارىء ينتقل من جو الحياة الروسية الى جو الحياة الانكليزية الى جو الحياة الاميركية وقد صورها ابناؤها بريشة ماكرة سليطة تنضح بالسخرية والهزؤ ونقلت الى العربية بأسلوب فيه من الدقة الادبية والجزالة البيانية الشيء الكثير.

تلك هي باكورة الكاتب محمد قطب التي قدم لها شقيقه الاديب المعروف الاستاذ سيد قطب بمقدمة عرف اخاه بها التعريف الكافي وحلل القطع المترجمة تحليلاً دقيقاً موجزاً بلغ فيه – كعادته – كثيراً من الاجادة والتوفيق.

وان كان لنا ما نتمناه على المؤلف فهو ان نقرأه نفسه في مثل بيانه الذي اضفاه على ما للآخرين.

٢ ــ اناوات

تأليف خليل السباعي – ٢١٥ صفحة – مطابع ابي الفداء – حمص

شاء المؤلف ان يعرف كتابه بهذه الجملة «هذا كتاب يمور بحياة وجدانية كثيرة النزوات اوحته رعشات قلب كابد مريراً من شوق جائع جامح، جنح بقوة للحياة، وصاغه وميض فكر عاني مأساة التوزع بين دنيا التراب ودنيا المثال.» واظن ان هذا التعريف يعطينا صورة واضحة عما يحتويه الكتاب من قطع ادبية مادتها الخيال وقالبها الفاظ منمقة وان لم تك كذلك في معانيها.

كنت اعتقد قبل قراءة موضوعات المؤلف انه سيقدم لنا – حسب تعريفه – تحليلاً بسيكولوجياً او عرضاً نفسياً فلسفياً لحالات يمر بها كل انسان فاذا بي على العكس اجد موضوعات انشائية خالصة تدور حول لا شيء. ولعلها كتبت لتلاميذ المدارس الابتدائية الذين تستهويهم الجمل المنمقة والمعاني الخيالية.

ولم اعثر في هذه الموضوعات – وهي كثيرة – على فكرة يعالجها المؤلف وتشعر القارىء بأنه يقرأ شيئاً مفيداً او مسلياً على الاقل. ومهما يكن فان مثل هذه الموضوعات الخيالية «الاسلوبية» ان وجدت عذوبتها في الشعر فلا اخالها الا بائرة في النثر فاقدة عنصر جمالها.

٣ ــ المرأة هذا اللغز الابدي

تأليف الاستاذ سامي الكيالي – ١٣٧ صفحة – حلب

هذه مجموعة خواطر اوحتها المرأة للمؤلف، فضمنها هذا الكتاب الصغير الحجم او قل هي مجموعة صور تعرض لمحات جانبية لبعض النساء، صدرت بكلمات لاشهر الفلاسفة عن المرأة وبحديث عن اثر المرأة في الادب وفي حياة الادباء. وجاءت القطع التي تلي ذلك فلذات قطعت من حنايا الحياة ترسم ما للمرأة من دور فعال في حياة الرجل بريشة ناعمة دقيقة فيها من الخيال الرحب والاسلوب الرشيق الشيء الكثير.

اما القصتان الاخيرتان فقد بلغتا حداً من التوفيق والاجادة يغبط عليه المؤلف اذ انهما صورتا العاطفة المبهمة التي تدفع المرأة احياناً لاتيان اعمال شاذة. ولعل هذا ما دفع المؤلف لتسمية كتابه «المرأة هذا اللغز الابدي».

وبالاجمال فالكتاب لا يخلو من الروعة والجمال.

٤ ــ فوزي المعلوف

تأليف الاب جبرائيل ابي سعدى – ٩٨ صفحة – المطبعة المخلصية، قرب صيدا

سبق للمؤلف انه نشر بحثه هذا عن الشاعر النابغة المرحوم فوزي المعلوف في مجلة «الرسالة المخلصية» وهو الآن يجمعه في هذا الكتاب ليعطينا صورة شاملة عن حياة الشاعر الفقيد ودرساً تحليلياً لآثاره وفنه الشعري. وقد افاض المؤلف في شرح ملحمة فوزي الخالدة «على بساط الريح» محللاً اناشيدها الاربعة عشر بيتاً بيتاً ومعلقاً على طريقتها الشعرية بأسلوب سهل طريف. وعرض

بعد ذلك لافكار الشاعر وفنه واسلوبه بدراسات نقدية موجزة، وتحدث قليلاً عن شقيق صاحب الترجمة الشاعرين شفيق ورياض.

هذا والكتاب مجموعة كاملة لآثار الفقيد ونبذ مفصلة عن حياته واعماله نحا المؤلف فيه منحى العرض والتحليل ولم ينح منحى النقد والتعليل. وهو على كل حال يستحق التقدير.

٥ـ الناطقون بالضاد

ترجمة وتعليق البدوي الملثم – ١٠٠ صفحة – المطبعة التجارية – القدس

اصدر معهد الشؤون العربية الامريكية في نيويورك بياناً باللغة الانكليزية عام ١٩٤٦ ذكر فيه نبذة عن تاريخ هجرة الناطقين بالضاد الى الولايات المتحدة. وعن المكانة التي وصل اليها كثير من ابناء العروبة في المهجر. وقد ترجمه وعلق عليه الاديب الفلسطيني الملقب بالبدوي الملثم فأسدى لابناء العروبة خدمة يشكر عليها لما بذله من عناية بالترجمة ومن جهد في الرجوع الى مصادر عديدة للاستفسار عن اصل كثير من كبار المهاجرين في امريكا.

وقد قدم له الاستاذ قدري حافظ طوقان ومده الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف بكثير من المعلومات. فجاء الكتاب بما فيه من تفاصيل وافياً بالغرض. يطلع العرب المقيمين على مدى نشاط اخوانهم المغتربين.

٦ـ معروف الرصافي

تأليف الاستاذ بدوي احمد طباخة – ٢٢٦ صفحة – مطبعة السعادة – بمصر

الشاعر الرصافي من خيرة شعراء الاجتماع الذين جاد بهم الشرق العربي في الحقبة الاخيرة من هذا العصر، ولكنه امضى الايام الاخيرة من حياته في غمرة من الاغفال والبؤس. فمن حق الشاعر على ادباء العربية ان يفردوا له الكتب والدراسات التي تكشف عن حياته وتحلل آثاره وتبرز مزاياه. وهذا ما عمد اليه المؤلف الفاضل في هذا الكتاب. فبعد ان قدم له معالي الاستاذ محمد رضا الشبيبي تناول المؤلف حياة الرصافي فاشبعها بحثاً وتمحيصاً وتحليلاً. وانتقل بعد ذلك الى دراسة شعره وتقسيم فنونه واغراضه حسب ابواب الشعر المعروفة: من وطنيات الى اجتماعيات الى الوصف والغزل والفلسفيات والمدح والرثاء والشكوى الخ. ويتحدث بعد ذلك عن آثار الرصافي من ناحية المعنى والاخيلة، ثم من ناحية الالفاظ والاساليب.

ومما يعجب القارىء في هذا الكتاب هذا التقسيم الدقيق الذي اتبعه المؤلف في موضوعات البحث وادراجها ضمن ابواب خاصة ذات فروع وشعب كما ان المؤلف لم يقتصر على دراسة آثار الرصافي وتحليلها تحليلاً استعراضياً فقد كان في كثير من الاماكن ناقداً ممحصاً حريصاً على تطبيق قواعد النقد المعروفة بنزاهة ودراية ولم يترك وجهاً من اوجه النقد والتحليل الا قاس آثار الرصافي بها فابرز محاسنها وانتقد مساوئها. وهذه لعمري الطريقة الصائبة مثل ما تجد في هذه الدراسة العميقة المفعمة بالامثلة والمصادر.

هذا والكتاب جهد ادبي موفق اجاد به المؤلف من ناحية التحليل والنقد ومن ناحية العرض والاسلوب.

٧ـ تاريخ الشعب الامريكي

تأليف الاستاذين فرحات زيادة، وابراهيم فريجي – ٣٤٥ صفحة
المطبعة الاميركانية – بيروت

اصدرت جامعة برنستون هذا الكتاب تحت اشراف الدكتور فيليب حتي رئيس دائرة العلوم الشرقية فيها الذي قدم له بكلمة وجيزة تحدث بها عن اتصال الشعب الاميركي بالبلاد العربية وذلك منذ مائة عام ونيف وعن نزوح ابناء العربية الى اميركا وتأسيسهم وطناً ثانياً بها فرؤي بعد ان تم هذا الاتصال بين الشعبين ان الحاجة ماسة الى اصدار كتاب يشرح تاريخ نشوء الشعب الاميركي باللغة العربية. فكان ان صدر هذا الكتاب وهو تاريخ عام مفصل للولايات المتحدة منذ ان اكتشفها كريستوف كولمبوس عام ١٤٩٢ حتى يومنا هذا، وقد سرد بنزاهة علمية وتجرد مطلق جميع الوقائع والاحداث التي تعاقبت على هذا الشعب وذلك باسلوب عصري مبسط روعيت فيه السلامة والمتانة.

ومما يجدر بالملاحظة ايضاً ان اهتمام المؤلفين كان موجهاً بصورة خاصة نحو الناحية الثقافية الاجتماعية، وان الناحية السياسية تأتي في الدرجة الثانية، وهذه ميزة جعلت الكتاب بعيداً عن مراعاة المدح والاطراء.

والكتاب الى هذا يجمع كثيراً من الخرائط والمصورات التي تعين الباحث على الفهم والاستقصاء. وهو جهد علمي جدير بالاعجاب والثناء.

اديب مروة

اشهر رسائل الغرام

تأليف روبرت شرمان وتعريب الاستاذ سمير شيخاني – ١٢٨ صفحة
مطابع الاتحاد – بيروت

هو باكورة انتاج الاديب الشاب الذواق الاستاذ سمير شيخاني في عالم الكتب يطل بها علينا.

العربي ، انصرف بادىء بدء الى علوم الاجتماع فقدم للعرب كتاباً لعله اجمع كتاب في الموضوع ، ثم طالع بطائفة من الكتب القيمة في حدود الموضوع نفسه ، لم تزل معيناً لثقافة الكثيرين في هذا الفرع .

واليوم يعنى بالبحث العلمي في موضوعه الطبيعي ، فيخرج للناس كتاباً في هندسة الكون على قاعدة النسبية وهذا الكتاب الذي نعرف به .

وهو – وان يكن موضوعه اولياً وان يكن متداولاً – في حاجتنا ففيه استيعاب وشمول وتبسيط . . نقول انه في حاجتنا قصداً الى اشاعة الروح العلمية في اكبر عدد منا ، وعملا على طبع الفكر العام بطابعها ، كي نتخلص دراكاً من فوضى التعميم والاطلاق و « الشطح » التي هي طابع تفكيرنا السائد ، فيما شذت من حقل يتصل بالحياة او يتصل بالمعنى .

لقد تملكتنا الروح الادبية المتميعة واستبدت بجاها في بنائنا الفكري ، وكان ما نلمس من ازمات بعضاً من عوارضها .

تناول في الفصل الاول طرفاً من ترجمة نيوتن ، وفي الفصل الثاني تحدث عن سقوط التفاحة ذلك الحادث الساذج لو عند غير عبقري كنيوتن ، بيد انه عنده كان سبيلاً الى كشف للسر الكوني العميق ، وفي الفصل الثالث تحدث عن شمول ناموس الجاذبية . ثم تتابع في الفصول التالية يبحث ظاهرات الجاذبية وتركب الذرة والهيولى وناموس السرعة وقوة الجذب الى المركز وقوة الدفع عنه والدوران الحلزوني والجو الجذبي ونشوء الذريات والاجرام وتطور الكون وتمدده وتقلصه . . ثم اعقب كل ذلك بملحقات تشتمل البراهين الرياضية على القوانين المذكورة .

والكتاب رغم موضوعيته الدقيقة ورغم فنيته ، يشعرك بلذته وانت تستوضح فيه ما العهد به مستغلق .

الشعر الاندلسي

وصلته بشعر الشعراء التروبادور

تأليف ع . ر . نيكل صفحاته ٢٧+ ٤١٦ بلتيمور الولايات المتحدة

صدر في منتهى العام الفائت كتاب بالانكليزية من اجل الكتب في تاريخ الشعر الاندلسي وتأثيره في الشعر الغربي ، بل هو اجل كتاب صدر في هذا الموضوع الى الآن . وبما ان هذا النوع من التأليف جديد على القارىء العربي فقد احببت ان اكتب هذا العرض والتعريف مع هذا القدر من التفصيل لاضع قارئنا في جو جديد وادله على مفاخر قومه في ناحية قل الذين سمعوا عنها الى الآن شيئاً مفصلاً او شبه مفصل .

التعريف بالموضوع

من اعقد القضايا في تاريخ الادب الغربي (بالغين المعجمة) قضية نشأة الشعر التروبادوري (اي الشعر الوجداني الذي نشأ في اوكويتانية بجنوبي فرنسة في اعقاب القرن الحادي عشر الميلادي) وقضية تطوره . ويزيد هذه القضية المعقدة في نفسها اهمية ان الشعر التروبادوري هذا هو الاساس الذي قامت عليه الآداب الاوروبية الحديثة في فرنسة والمانية وايطالية واسبانية . وهكذا يكون الفصل في نشأة الشعر التروبادوري هذا وفي مصدره وتطوره فصلاً – في الحقيقة – في اصل الآداب الاوروبية كلها .

وكل شيء في نشأة هذا الادب – من حيث الفكرة والغرض والاسلوب – غامض اشد الغموض . ان كل ما نعرفه هو ان هذا الادب برز في جنوبي فرنسة في مطلع القرن الثاني عشر الميلادي بعد نشوب الحروب الصليبية وبعد ان سئم نفر من الافرنج من هذه الحروب البربرية فعادوا من الشرق الى الغرب يحملون للشرق اعجاباً بكل شيء رأوه . اما اللغة التي كتب بها هذا الشعر فهي اللغة البروفنسالية اي لغة سكان مقاطعة بروفنس في جنوبي فرنسة وهي تمثل في الحقيقة دوراً وسطاً بين اللغة اللاتينية الام وبين بناتها الرومانيات (الاسبانية والفرنسية والايطالية) . اما من حيث التأثير الادبي فان هذا الشعر التروبادوري اثر في الشعر الالماني ايضاً .

وليس اصل هذا الشعر التروبادوري وتطوره غامضين فقط ، بل ان مصدر « اسم » هذا الشعر غامض ايضاً . يعرف اصحاب هذا الشعر في جنوبي فرنسة باسم التروبادور Troubadours وفي شمالي فرنسة وباسم التروفير Trouvères . اما في المانية فاسمهم المِنِزنكر (المنسنكر) Minnesaenger . وهذه الاسماء الثلاثة تثير عند اهلها مشاكل كثيرة عند البحث في اصلها ووجه اشتقاقها . ففي الكلمتين الاوليين رائحة المصدر اللاتيني Trobare « وجد » ، ولكن الصيغ غريبة جداً عن الاشتقاق اللاتيني . ولنفرض جدلاً ان هاتين الكلمتين اتتا لغوياً من اللاتينية ، فما الذي دفع اولئك القوم الى اختيار هذا الجذر « وجد » دون غيره للدلالة على « نوع شعرهم » الذي ابتدعوه في البيئة الاوروبية؟ اضف الى ذلك ان كلمة « وجد » في اللاتينية لا تحمل المعنى الذي يدل عليه مفهوم « Troubadour, Trouvère » . اذ ما الصلة بين « وجد – لقي – اصاب » (وهي المعاني المادية لهذا المصدر)

وبين موضوع شعر هؤلاء الذي نتناول الآن الكلام عليه في هذه العجالة ؟ ولكن لو رجعنا الى معـاني « وجد » في اللغة العربية لوجدنا ان من معانيها « احس – شعر – تأثر عاطفياً » . فاللغة العربية اذن تحملنا الى صميم المشكلة الثائرة .

ان لفظة «تروبادور » واختها « تروفير » مـأخوذتان من اللاتينية ، ولكن معناهما ومؤداهما مأخوذان من العربية . اما صيغتهما ووجه اشتقاق هاتين الصيغتين فلا يزالان موضع نزاع كبير . وما يقال في هاتين الصيغتين يقـال في « منزنكر » . امـا Saenger او Sänger فهي المغني (الشاعر) . واما Minne فليست جرمانية ، بل الغالب على الظن انها الكلمة العربية «مِنّة» ، ذلك لأن الشاعر التروبادوري كان يتخذ احدى سيدات الاشراف سيدة له ومولاة ويعلن نفسه عبداً لها .

والمنة في قاموسنا العربي هي « النعمة – الصنيعة » ، ومعناها يتفق وما يقصد منها في ثوبها الالماني الجديد .

التعريف بالمؤلف

ولقد انقسم الدارسون حيال هذه المشكلة اربعة اقسام :

١ – اصحاب النظرية اللاتينية : وهم الذين يريدون ان يقولوا بان الشعر البروفنسالي مشتق من اللغة اللاتينية الفصحى الاولى

٢ – اصحاب النظرية اللاتينية من الذين لا يذهبون الى ان الشعر البروفنسي مأخوذ من اللاتينية الفصحى الاولى ، بل من الاناشيد الدينية واغاني الطلاب الجونية .

٣ – اصحاب النظرية الشعبية وهم القـائلون بان الشعر البروفنسي بني على اغان شعبية كانت شائعة في مهد الشعر البروفنسي

٤ – اصحاب النظرية العربية الذين يعتقدون ان ثمت عناصر عربية قد خلقت الجو الاول الذي ولد فيه الشعر البروفنسي .

***

والمؤلف الذي نحن بصدد نقد كتابه الآن من اصحاب هذه النظرية العربية .

ولد الدكتور عبد الرحمن نيكل A.R. Nykl عام ١٨٨٥ في بوهيمية (تشيكوسلوفاكية) ودرس اللغات والآداب والاديان في الجامعات المختلفة ، ودرس القرآن الكريم والشعر العربي على شيوخ الازهر . وقد تخرج عام ١٩١٦ في جامعة شيكاغو باميركة ثم وقف اكثر جهوده على دراسة اللغات الرومانية (كالايطالية والافرنسية والاسبانية واخواتهن) ثم درس الى جانبهن كثيراً من اللغات الاوروبية والشرقية ، واخيراً استقر هواه على دراسة الشعر العربي واثره في نشأة الشعر البروفنسي اقدم اصول الشعر الاوروبي الحديث .

التعريف بالكتاب المنقود

يفتتح المؤلف كتابه بتوطئة تقع في ست عشرة صفحة ، اربع منها متن وسائرها حواش من المناقشة والنقد ، يتناول فيها نشأة هذه المشكلة وتطورها وآراء الناقدين والدارسين فيها ، لم يدع شاردة ولا واردة – على الحصر والحقيقة لا على التوسع والمجاز – الا ذكرها مدعومة بالرأي معززة بالشواهد .

والمؤلف يذكر في هذه التوطئة انه اخذ نفسه بان يعالج الشعر الاندلسي معالجة شاملة تظهر لاول مرة في اللغة الانكليزية . ولا ريب في انها اتم معالجة حتى في اللغة العربية ايضاً .

اما القسم الاعظم من الكتاب (ص ١ – ٣٧٠) فخصوص بمعالجة الشعر الاندلسي في ثنايا تاريخ الاندلس منذ الفتح الى سقوط غرناطة وخروج العرب نهائياً من ذلك الفردوس المفقود . ولقد احسن المؤلف صنعاً في انه لم يغرق الصورة الادبية في حوادث التاريخ السياسي ، بل اخذ من حوادث التاريخ السياسي مـا يساعد على فهم الحياة الادبية . فالتاريخ السياسي في هذا الكتاب ليس سوى معالم يهتدى بها . اما الصورة الادبية فهي التي تستغرق هذه الصفحات الثلاثمائة والسبعين .

والكتاب مملوء بالنماذج المختارة المنقولة الى اللغة الانكليزية . وقد لا ينسى المؤلف ان يأتي في اثناء ذلك الى موازنة بين الشعر العربي (والزجلي على الاخص) وبين مقطعات وقصائد من الشعر البروفنسي الاول متأثرة بذلك الشعر العربي او منقولة عنه نقلا (راجع ص ٣٠٣ – ٣٠٨) .

هذا العرض القيم للشعر الذي انبسط جناحاه ثمـانية قرون كاملة او تزيد في قطر من اجمل الاقطار ودور من اشد الادوار ازدهاراً لا ينفع الافرنج وحدهم ، بل لعله اشد نفعاً للعرب .

اما القسم الثالث من الكتاب وهو اربعون صفحة فقط من المتن والحواشي معـاً ، فاحب ان آتي بزبدته عـلى غاية من الوجازة – ولكن بشيء من التوسع اذا قسته بالفصل السابق الذي ملأ ثلاثمائة وسبعين صفحة .

ينطلق المؤلف من ذكر كتاب « طوق الحمامة » للفقيه الشاعر الفيلسوف ابن حزم الاندلسي ، ويذكر كيف ان المؤلف قد نحا في معالجة الغزل والصبى نحواً مغايراً بل مناقضـاً « لفيلسوف الحب اللاتيني : اوفيد » . ان اوفيد مادي الهوى ولكنه لبق التجميش ، بينما ابن حزم تواق الى الوصال الروحي .

وان البحث في اصل كل شيء — وخصوصاً الجهود الانسانية الثقافية — مرتقي وعر. ولكننا نلاحظ ان سكان جنوبي فرنسة (وهم الذين نشأ فيهم الشعر البروفنسي) كانوا اقرب في مزاجهم الى سكان اسبانية من النصارى والمسلمين منهم الى الباسك (سكان الساحل الجنوبي من فرنسة) الجفاة.

واول الشعراء التروبادور غليوم التاسع صاحب بواتيه، ويعد شعره في الطبقة الاولى من حيث التاريخ، اذ هو اول ما نظم من هذا النوع الجديد من الشعر الوجداني. وشعر غليوم هذا قليل، نظم بعضه الاقل قبل ان يذهب الى المشرق للاشتراك في الحروب الصليبية، ونظم سائره بعد رجوعه. ومن غليوم هذا اخذ جميع التروبادور. ولقد تجمعت في شخصية غليوم تلك العناصر المختلفة اتهب دوحة الآداب العالمية فرعاً جديداً.

ويرى المؤلف ان النغم (في رأس الشاعر) يسبق قول الشعر، وان التروبادور كانوا الناظمين والملحنين والمغنين في وقت واحد. وهو في كل ذلك لا يغرب عنه أثر البيئة الشرقية العربية. وكذلك لا تراه ينسى بان يذكر الذين يقولون بان الشعراء التروبادور أعتمدوا، اول ما اعتمدوا، على الموسيقى الكنسية، بان هذه الموسيقى الكنسية مسيحية شرقية. واذا كان الفرنجة في اسبانية وفرنسة على السواء، يقلدون المسلمين في شن الحرب وفي الثياب والعادات فان من الغباء ان ننكر انهم قلدوهم ايضاً في الموسيقى والغناء، فان اثر هذا التقليد نفسه بارز في اسبانية حتى اليوم اشد البروز، وان الزعم بان المسيحيين لا يمكن ان يتفهموا اساليب اعدائهم الالداء او ان يقلدوهم لهو أوهى المزاعم (ص ٣٨١). من اجل ذلك نستطيع ان نصرف كل اعتراض يتعلق بفهم الفرنجة للشعر الاسلامي او بتذوقهم للالحان التي كانت ترافق ذلك الشعر صرفاً اكيداً يسيراً من اهون سبيل.

واذا نحن رجعنا الآن الى دراسة قصائد غليوم التاسع وجدنا فرقاً بيّناً بين تلك القصائد التي قالها غليوم قبل مجيئه الى الشرق وبين تلك التي قالها بعد رجوعه من الشرق، وخصوصاً فيما يتعلق بالغزل وترتيب القوافي.

***

لا احسب ان القارىء ينتظر مني ان استعرض له هنا آراء المؤلف كلها، ولكن يجب ان اشق له نافذة على هذا العالم الجديد من التأليف، وارجو ان اكون قد فعلت. ولا ريب في ان خدمة المؤلف للقارىء العربي ستكون اجل حينما يخرج «مختاراته» من الشعر الاندلسي (في اللغة العربية)، تلك المختارات التي اراد ان يخرجها قبل اخراج الدراسة الانكليزية، ولكن لم تتهيأ له جميع الاسباب لذلك.

وكم كنت اود لو ان المؤلف قد افرد ثبتاً بالمصادر والمراجع (التي ذكرها على كل حال في ثنايا بحوثه) اذن لكان قد اسدى الى القارىء الباحث صنيعاً جميلاً. ثم ان فهرس الاعلام مقتضب جداً لانه قاصر على اسماء الشعراء، ولو ان هذا الفهرس اتسع لسائر الاسماء لكانت الفائدة للقارىء نفسه اجل واتم. فان هذا الكتاب خزانة من النفائس وكنز من الجهود وعالم من الثقافة والادب والتاريخ والاجتماع.

عمر فروخ

سدنة التراث القومي

للاستاذ روكس العزيزي – ١٧٥ صفحة – المكتبة العصرية – يافا

العلامة الكرملي واحد من فئة عز عديدها، في كل ما عرفت العربية من أئمة البحث اللغوي المستكشف. انه من فئة ان التمستها، لن تجدها تنتظم الا آحاداً فقط، من مثل الخليل بن احمد صاحب الرأي في الاشتقاق، وابي علي الفارسي صاحب الرأي في القياس، وابن جني صاحب الرأي في الاشتقاق الكبير، والحازمي صاحب الرأي في الاشتقاق الاكبر، والكرملي صاحب الرأي في التناظر والتأصيل.

بدأ المؤلف كتابه بالتعريف بحلى الفقيد الكبير، ثم ذكر طرفاً من نسبه، فاذا هو من آل عواد اللبنانيين. هؤلاء الذين يرجعون باصلهم الى قبيلة بني مراد العريقة في اصالتها العربية.. وكان لوالد الفقيد تضلع تاريخي ونظرات دقيقة فيه، وكان يقطع بان مردة لبنان ليس جمعاً لمارد بل جمع لمرادي نسبة الى القبيلة المذكورة.

وعرض لجهده اللغوي وكنا نود لو انه درس محقق يضع تراثه اللغوي العلمي موضع النقد المعرف بعمق الطريقة التي اصطلحها منهجاً للبحث في اللغة.. تلك الطريقة التي — وان لم يعرفنا الاب الكرملي بخطوطها ويقدمها للناس كمنطق للبحث اللغوي وكاسلوب منهجي في جنبات هذا الفرع — ارانا جملة هذه الخطوط وهذا المنطق في صفحات واسعة من التطبيق.

ومهما يكن فقد عاد من هذا الاثر بكثير من الوفاء في كثير من الواجب. وكنا نود والمؤلف تلميذ الكرملي ان لا يقع في بعض الهنات اللغوية، من مثل «بحوث» ص ٣٤ وهو جمع غير معروف وان شاع، ومثل «الحقة» ص ٦٩ بالحاق علامة التأنيث وهي لا تلحقها وان تمحل لهذا الالحاق ابن جني وتسامح به.

أنفاس الألم

ذكرى ليلة على جسر الفناء

★

مهداة الى روح الشاعر نسيب عريضة
الذي ادرك نفسه عند نهاية الطريق

★

لعبد القادر محمود
القاهرة

فزع

يئس القلب فأضناه الشقاء   واستحال الهم قبراً للدماء
أيها الموت رحمت القلب ما أقساك ان حنت اليك الضعفاء
ايها النجم ألا تعرف مأوى   لشريد مل من طول البقاء
اترى تسمع شكواي وتصغي   لنداء الروح في اذن المساء
أم ترى تعرض عني فترى   في جراح الصمت معنى للجزاء
ما وراء الليل يا بدر الدجى   والفضاء الرحب مكلوم النداء
الرياح الهوج في عيني لظى   يا عويل الريح أيان النجاء ؟
ما بروحي كلما صحت تعالت   في سعير الدم اصداء الفناء
ما بدمعي كلما رمت عزاء عادني اليأس وأعماني الرجاء
ما بقلبي كلما سرت تنزت بين أحشائي تهاويل القضاء
ما بايلي أيها الكون وقد مات على الافق نشيد الكبرياء
قد هبطت الارض والدنيا ضحى   وركبت البحر والبحر رخاء
لم أكن أدري على الدنيا سوى   لحني الشادي بأفياء السماء
انني أصرخ من يسمعني ؟   وبساط الموت مسبول الرداء
أين أمشي والفضاء الجهم مقرور   وملتاع برعشات الجواء
زفرات الافق ترعى مهجتي   والصقيع الكهل والداء العياء
هذه الأكوان من يسمعها   صرخة الحق بروح الغرباء
أين عيني وهي حيرى في مدار الافق تبكي بدموع ودماء!
خطواتي قيدتها رعشتي   من لنفسي وهي لليأس غذاء
وعلى عيني يسري مارد   يرعش الكون ويرنو في الخفاء
كلما حولت عيني نحوه   هز في قلبي نشيد البرحاء
جثم الرعب على الكون وولت   فرحة الدنيا وغشاها العماء
جلجلوا الصرخة في افق الردى   واسكبوا الانوار فالدنيا عراء
وافيضوا النار في الكون وزفوا   لعروس الخلد أقباس الضياء
لا تلمني أيها الموت وان كنت على بابك مهدود البناء
انني امشي على غير هدى   في شعاب الارض مفقود العزاء
هل ترى قلبي وما ينفثه؟   تلك انفاسك ام روح البقاء؟
اترى انت صديقي؟ ام ترى انت عدوي ؟ ام ترى انت الفداء ؟
لست ادري غير اني لا اباليك وان كنت عدو الاقوياء

انني امشي ولا ادري على الارض اغذ السير ام فوق السماء
لا تلمني ايها الموت وان كنت على مهدك مجروح الاباء
رب لحن فيك قد رددته فأثار اللحن دنيا الابرياء
رب عزم فيك قد ايقظته بعدما كان طيوفاً من هباء
رب ضحك منك قد ابكيته واحلت الدمع فجراً للصفاء
رب كأس منك قد رقرقتها وشربت السم يزرى بالبلاء
رب قبر فيك قد ارعشته وبعثت الروح تجتاح الفناء
رب موت فيك قد احييته وملأت الارض منه والسماء

☆ حيرة ☆

ايها الموقد ناراً في دمى قف . تمهل .. لا تعجل بمماتي
اين انت الآن في جوف الثرى ؟ ام تعيش اليوم رهن الصبوات ؟
قد سألت البحر عن ماضي الهوى فأهاج البحر موج الذكريات
وسألت النجم عن نار الجوى فأثار النجم لذع الجمرات
وسألت الريح عن سر النوى فتنزت في فؤادي صارخات
وسألت الكون عن دنيا مضت في ليال اسكرتها قبلاتي
فأجاب الكون لا تذكر ... وعش في الدهر كالدهر ندّيا بالعظات
وسألت البدر عن سر مضى في جبين الليل مخفيّ السمات
فأجاب البدر لا اعرف شيئاً غير نفسي وشعاعي وصفاتي
وسألت الزهر عن خمر الندى وسألت الصخر عن سر الفلاة
فتثنى الزهر في موج الهوى واجاب الصخر لا ادري فلاتي
وسألت الموت عن سرٍ ثوى بين جنبيه عتيّ النزوات
فأجاب الموت حاذر ان تخاف الموت ان هاجت شباتي في قناتي ؟
وسألت القبر عن معنى الممات وسألت الله في كل جهاتي
فأجاب القبر يا صاح اتئد وامات الله موتى بالحياة

☆ بفس ☆

ويح نفسي انني البحر ولكني غريق في بحار الزفرات
ويح نفسي انني البدر ولكني مضيء في عيون غافلات
ويح نفسي انني الريح ولكني هباء في صحارى شاسعات
ويح نفسي انني الدنيا وان كنت على الدهر مضيء القسمات
ويح نفسي انني الدمع وان كنت كحلم شع في صدر فتاة
ويح نفسي انني الكون وان كنت كنجم ضل خلف الكائنات
ويح نفسي انني النجم وان كنت شريداً في قفار شاحبات
ويح نفسي انني الوهم وان كنت ارى الوهم محالا كحياتي
ويح نفسى انني الشمس وان كنت شقياً بالاماني الضائعات

ويح نفسي انني الليل وان كنت كانفاس العذارى الناعمات
ويح نفسي انني الهول وان كنت نديا كالورود الحالمات
ويح نفسي انني النار وان كنت سلافا في شفاه الغانيات
ويح نفسي لم اعد اعرف نفسي وانا السابح في عمق الحياة

☆ شك ☆

أأنا البحر وامواجي الاسى ؟ ... ام انا الافق وامواجي الغيوم ؟
انا الحب وآمالي الجوى ؟ ... ام انا الراح وآمالي النديم ؟
انا النجم واحلامي السنا ؟ ... ام انا الكون واحلامي النجوم ؟
انا الصبح وانفاسي الشذا ؟ ... ام انا الليل وانفاسي الهموم ؟
انا الطير والحاني الهوى ؟ ... ام انا البلبل في السجن مقيم ؟
انا الدهر واشلائي الورى ؟ ... ام انا النار واشلائي الرميم ؟
انا الوهم وصحرائي النوى ؟ ... ام انا الحق وجناتي الجحيم ؟
انا الزهر وصهبائي الندى ؟ ... ام انا الوهم على شط السديم ؟
رب ليل قد تدلى صبحه ... وهو في عيني ظلام لا يريم
رب كأس قد تغنى خمره ... وهو في ثغري نجيع وسموم
رب ايك قد ترامى عطره ... وهو في عيني حطام وهشيم
انني أرنو الى شيء فما الشيء وما سر ابتهالي للنجوم
أترى اذكر حبي ؟ ام ترى أعبد ربي ؟ ام تراني لا أهيم ؟

☆ انطلاق ☆

يا ابنة الانسام ما أغناك عن حبي وقلبي بين جنبيك لهيب
يا ابنة العرفان ما أنساك والقلب ظلام وجراح وندوب
يا ابنة الاهوال ما ذنبي وقلبي ان عراه الوجد يغفو ويثوب
يا ابنة البدر غفا الكون ولكن ما وراء الليل والليل رهيب
يا ابنة النور ذوى العمر وشلت في جبين الدهر روح وقلوب
قد زرعت الحب في وادي النوى ... فنما النبت وحيته الغيوب
قبل الفجر شذاه فانتشى العطر وحياه من الافق الحبيب
ثم لما أن دعا داعي الأسى ... هزه الاعصار والموت رقيب
رقص الهول على أنغامه ... مثلما ترقص في الطين الذنوب
وغفا النور عليه فصحا ... مثلما تصحو من المهد اللعوب
واستكان الزهر للموت ففاحت من شذاه نغمة سكرى طروب
هي روحي ... من لروحي أيها الليل اذا ران على الافق المغيب ؟
يا ابنة الحب تغني في دمي ... كل ما في الكون ظمآن جديب
غير نفسي فهي في الدنيا حياة ما لها حد ونور لا يغيب

القاهرة ... عبد القادر محمود



٢٨ شباط – شنت الحكومة اليونانية هجوماً عاماً للقضاء على العصابات في جبال فرميون فنشبت معارك طاحنة اصيب بها الطرفان باضرار كبيرة .

١ اذار – قدم السفير الهندي في الولايات المتحدة اوراق اعتماده للرئيس ترومان وهو اول سفير هندي في الولايات المتحدة .

٣ – وجه القايد مارشال البرت كيسلرنغ القائد الاعلى للقوات الالمانية في شمالي ايطاليا سابقاً تهمة الخيانة العظمى لعاهل ايطاليا السابق الملك عمانويل والجنرال بادوليو وصرح بانها اكدا له بعد اعتقال موسوليني في حزيران ١٩٤٣ بانهما مصممان على المضي في القتال الى جانب المانيا حتى النهاية .

٤ – وقع المستر بيفن وزير خارجية بريطانيا والمسيو بيدو وزير خارجية فرنسا في دنكرك معاهدة تحالف عسكرية سياسية اقتصادية لمدة خمسين سنة .

– اعلن الجنرال ماكميلان ان القوات البريطانية ستواصل ضغطها على المنظمات السرية في فلسطين الى ان تقضي عليها .

٥ – نسف الارهابيون اليهود مصلحة ادارة الضرائب في حيفا فدمرت البناية تدميراً تاماً .

٧ – ارسلت الحكومة البريطانية احتجاجاً شديد اللهجة الى الحكومة الهولاندية على اعتقال السفينة البريطانية (ماروفو) في جزر الهند الشرقية (اندونيسيا) وتفتيشها .

– تقرر نهائياً ان تخلو قوات الطيران البريطاني عن القاهرة .

٨ – ستجري محاكمة رودولف هس امام المحكمة الشعبية العليا لجمهورية بولونيا بتهمة قتله اربعة ملايين شخص .

١٠ – سافر وفد المجلس السوفياتي الى لندن تلبية لدعوة البرلمان البريطاني .

– حكمت المحكمة العسكرية الصينية على الليوتنان جنرال هيسا وتاني القائد العام للقوات اليابانية بالاعدام بتهمة اغتيال ٢٥ الف نفس في مذبحة نانكنغ المشهورة .

– عقد مؤتمر وزراء خارجية الدول الاربع الكبرى جلسته الاولى في نادي الطيران السوفياتي .

١١ – فهم ان عزام باشا امين الجامعة العربية بعث مذكرة الى لندن يلح فيها على بريطانيا بوجوب دعوة الجامعة العربية الى الاشتراك في اللجنة الدولية التي ستجري الاستفتاء في ليبيا .

– اعلن الرفيق مولوتوف صراحة في مؤتمر موسكو ان الاتحاد السوفياتي يعارض في دعوة الصين الى حضور مؤتمر وزراء الخارجية عند بحث المسألة الصينية واعتبار الصين كباقي الدول الحليفة .

١٢ – طلب الرئيس ترومان من الكونغرس ان يصدق على منح اليونان وتركيا مساعدات مالية مقدارها ٤٠٠ مليون دولار .

– ارسلت بلغاريا الى وزراء الخارجية الاربعة تطلب دعوتها الى مؤتمر موسكو للدفاع عن حقوقها .

– اصدر وكيل وزارة الخارجية الاميركية امراً رسمياً باجراء تحقيق عن العوامل التي حملت مكتب التحريات العام على تفتيش المكتب العربي في واشنطون .

١٣ – نالت حكومة العمال البريطانية الثقة باغلبية ساحقة على اثر المحاولات التي قام بها المستر تشرشل لاسقاطها .

١٤ – نسف الارهابيون اليهود انابيب البترول في حيفا .

١٥ – ارسلت وزارة الخارجية الصينية طلباً الى الوزراء الاربعة في موسكو بان لا يبحثوا القضية الصينية الداخلية اذ انها من الشؤون التي تخص الحكومة الصينية وحدها .

– قدم حزب الاتحاد مع الحبشة في اريتريا الى وزارة الخارجية الاميركية احتجاجاً على النبأ الذي يقول ان اميركا توافق على وضع اريتريا تحت وصاية ايطاليا .

١٦ – اعتزل السير هدلستون حاكم السودان منصبه وعين مكانه السير روبرت هاو .

– افتتحت الجامعة العربية دورتها السادسة

١٧ – وجه المرشال تيتو نداء الى حكومة الولايات المتحدة يقول فيه : ان ثلاثة ملايين يوغوسلافي يهددهم الموت اذا لم تأتهم المساعدة من اميركا حتى نهاية هذا الشهر .

– الغت السلطات البريطانية الاحكام العرفية في تل ابيب والقدس وبعد مرور ساعات نسف الارهابيون انابيب البترول في شمالي فلسطين

١٨ – وافق وزراء الخارجية في مؤتمر موسكو على تأليف اربع لجان لالمانيا : سياسية واقتصادية واقليمية ولجنة لنزع السلاح .

١٩ – احتلت قوات شان كاي تشيك ينان عاصمة الحكومة الشيوعية في الشمال .

– شكل المسيو هنري سباك الوزارة البلجيكية من ٨ اشتراكيين و٩ اشتراكيين مسيحيين و٢ لا حزبيين وقد احتفظ لنفسه بوزارة الخارجية .

– اعلن مجلس الشيوخ في مصر ان مصر والسودان وحدة لا تتجزأ، وان مطالب البلاد هي الجلاء الناجز عن مصر والسودان من غير تحالف عسكري .

٢٠ – على اثر اجتماع اللجنة السياسية للجامعة العربية اعلن عبد الرحمن عزام باشا رفض الاقتراح الذي تقدم به المستر تريغفي لي والذي يرمي الى تأليف لجنة تحقيق من الامم المتحدة لدرس قضية فلسطين .

– طالب وزير خارجية فرنسا المسيو بيدو بتأمين تصدير الفحم الالماني الى فرنسا مقابل موافقته على وحدة المانيا الاقتصادية .

– طالب المسيو مولوتوف بالغاء دمج منطقتي الاحتلال البريطانية والاميركية، واعطاء روسيا عشرة الآف مليون دولار من تعويضات الحرب . ودعم مطلبه هذا بموجب بروتوكول سري وقع عليه في يالطا عام ١٩٤٥ ووافق عليه الرئيس روزفلت .

٢١ – قرر وزراء الخارجية الاربعة دعوة الحكومة النمساوية اثناء بحث المعاهدة النمساوية

٢٢ – على اثر المناقشات حول تعويضات الحرب ، اتخذ وزراء الخارجية الاربعة قراراً بنشر جميع نصوص البروتوكولات السرية التي اتخذت في ميثاق يالطا وبوتسدام .

٢٣ – افتتح المؤتمر الاسيوي في الهند واشتركت فيه ٣٢ دولة . وسيستمر المؤتمر حتى ٢ نيسان وستبحث خلاله الامور الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

٢٥ – اصر وزير الخارجية الاميركية على دعوة جميع الدول التي اعلنت الحرب على المانيا .

– صرح القائد العام للقوات البريطانية في المانيا بانه ينبغي على الحلفاء ان يترقبوا قيام مؤامرات نازية جديدة . واضاف : ان كثيراً من الالمان ما زالوا يعتقدون ان النازية افضل من الديمقراطية .